

نهر لشجر العاشق

شعر

نهر لشجر العاشق

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف © لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه أو استنساخه أو نقله ، كليا أو جزئيا ، في أي شكل وبأي وسيلة ، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي مسبق بالموافقة من المؤلف.

Copyright © All rights reserved to the author. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the author.

الطبعة الأولى

2 0 2 1

(الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الجهة الداعمة)

 دار الخليج للنشر والتوزيع
الأردن: عمان، العبدلي تلفاكس: 00962 6 464 7559
daralkhalij@gmail.com daralkhalij1998 daralkhalij
تتوفر إصداراتنا على:    

شعر

نهر لشجر العاشق

علي البتيري



المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٢٠ / ٩ / ٣٥١٥)

٨١٣,٩

قطوش، علي محمد

نهر لشجر العاشق / علي محمد قطوش - عمان: المؤلف، ٢٠٢٠
ر.أ.: ٢٠٢٠ / ٩ / ٣٥١٥.

الواصفات: / الشعر العربي / الأدب العربي / العصر الحديث /

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي
دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9932-00-018-2

العملاق الهائل

العملاقُ الهائلُ
يتشامخُ فوق رؤوس القمم المحنيّة،
تحت خطاه..
ما زال يُعلّقُ معطفه الحربيّ
على لوحة (غويا)
ويوضّبُ مآذبةً كبرى
من أشلاء ضحاياهِ
يأكلُ من لحم بنيهِ
وينشطُ شهوتهُ الحمراء،
بأعشاب قبورٍ تتنّدى
بالدمعة والآه
ما زال العملاقُ الهائلُ
من آلاف الأعوام
وحتى الآن..

يركض خلف الإنسان
الناس من الهلع التاريخي
تولول.. تجري لاهثة
وتصلي إيماءً لله..
ويطلُّ العملاق الهائل
في أحدث صورة
يقبض في اليمنى المعمورة
وبقبضته اليسرى
يصرخ طفلٌ يصعقه
تيارُ الرعب فيفقد ظله
ويفرُّ إلى صدرِ امرأةٍ
تمسح دمعته
وتطوق عينيه بقبلة..
ما زال العملاق الهائلُ
يا (غويا)
يخرج من لوحك المشهورة
يشهرُ قرنيه وينفض ذيله

وعلى مقربةٍ من أحزان البشرية
يُسرِّجُ خيلَه
يعلفُها قمحَ الحرية..
يسقيها من نار الحرب العرقية
ويباهي بالسطوِ على
خبز الجوعى
وثياب القتلى
وأنشيد الأسرى
من أناتِ الجرحى يجمعُ موسيقاه
ويكدّسُ ثروته
من أحزانِ سباياه
ويلطفُ في أروقة القهر عبده
يتسلَّلُ من باب الليل الخلفيِّ
إلى دمههم
ويُسَطِّرُ للحرب قصيدة!
العملاقُ الهائل
يطرُقُ أبوابَ العالم

كالمتسوّلِ يستجدي الأرواح
والأرضُ بقبضتِه جسدُ
يتلوّى بين شظايا وجراح
فاحملِ لوحَتَكَ الحُرّةَ يا (غويا)
فوق الظّهرِ وودّعِ إسبانيا
هذي الليلة..
أرحل شرقاً حتى يتحاذى
خطوُكَ مع ضحكات العملاق..
وهو يدقُّ على ركبته الأعناق..
ويوزعُ بالعدل على
أيتام العالم ويله
دع يا (غويا) صمتَ الألوان
يتحدّثُ عن أنهار دمٍ يجري
ويشيرُ إلى الأطفال
فوق ضفافِ الأنهار
يرمون العملاق الهائلَ
بالورد،

فيرميهم بشواظٍ من نار!

* (العَملاق الهائل) عنوان لوحة للفنان الإسباني الشهير (غويا) يجسد فيها الحرب.

ليالي فلسطين

الليالي في فلسطين لها جمرُ الأغاني
والقناديلُ المدمّاةُ الحزينة
الليالي في فلسطين لها طقس الدخول الصعب،
في كلِّ المواني
فهي إذ تكسرُ أقفالَ المحيطاتِ السجينة
تشتلُّ البذرةُ في ذاكرةِ الماءِ..
فتخضرُّ الحكايا
ويشبُّ الصوتُ في هيئةِ مغمورٍ وطافٍ
من دياجير التماسيح اللعينة
الليالي في فلسطين محطاتٌ لأسفارِ الضحايا
وقطاراتٌ لصمتٍ ورحيلٍ وبكاء
لو أتيناها وقلنا: غربلي قمح الحزاني
حدّثنا يا ليالي الأمر والخمر حديثاً دموياً
عن أماسي الغرباء

عن رياحٍ فاجراتٍ
تنهشُ الحقلَ وتغتالُ خوابي الفقراء
لو أتيناها وقلنا أيَّ شيء
لاستعادت هيبَةَ الراوي بعرسٍ قروي
لأحاطتنا بعشيقٍ نابتٍ كالعشبِ
في ليل السجون
ثم رَدَّتنا إلى اللحمِ الفلسطينيِّ
في بابِ يهوذا
حين قام اللحمُ مرتدًّا إلى كل السكاكين المعرَّةِ،
يصدُّ الموتَ بالموتِ البديل
ولعينين خضراوين في سفح الجليل
قام يوفي النذرَ واستفتى بني كنعانَ،
في حرق ملفات الرحيل.
يا ليالينا القتيلة
اشربي نار المسافات وفُضِّي
قشرة النخوة عن عار القبيلة
أكشفني وجهَ دليلة

افتحي كلّ أضاير اليتامى الراحلين
وابدئي من (دير ياسين)
افضحي شرب الدم المختوم في كل المواسم
وأعيدي سجدة الموت الحزين
لنجوم سطعت في (كفر قاسم)
أدخلي ليل النجوم..
جادلي بيروت،
واستفتي على الغربة أكوخ الصفيح
يسكت المنفى ولا ينطق في الدوامة الجوعى
سوى الفقر الذبيح
يا ليالينا القتيلة
اجعلي للزعر المنسيّ فصلاً في الرواية
حدّدي في الزمن الكابي تفاصيل الغروب
ثم عودي لاحتراقات البداية.
يا ليالينا اثري الورد على قبر القتل
كان ما كان فما الداعي إلى الحزن الطويل؟!
تُفسدُ الدمعةُ نهراً راکضاً نحو أريحا

بيد أنَّ النهرَ يبقى سيدَ الماءِ الجميل
وعلى جنبيه أطفالٌ لنا آتونَ من كل المداخل
حملت أيديهم السمراءُ رفضاً وحجارة
رفعت أهدابهم في عتمة القمع قناديل البشارة.

ما لم يقله عاشق الصحراء

مِنْ ثَغْرَةِ حُلْمٍ مُخْضَلٍّ بِرِذَاذِ دَمِي
مُدِّي لِلْقَابِعِ فِي قَاعِ الْبُثْرِ يَدًا
فَاللَّيْلِ عَيُونٌ رَاصِدَةٌ مِنْ حَوْلِي
وَالْإِخْوَةَ قَبْلَ دُخُولِ الشَّمْسِ
إِلَى مَخْدَعِهَا خَذَلُونِي
تَرْكُونِي لِعَذَابِي
أَلْقُوا بِي فِي الْجُبِّ،
وَعَادُوا لِأَبِي بَدَمٍ أَحْمَرَ فَوْقَ ثِيَابِي
رَجَعُوا لِأَبِي يَتَتَجَبَّوْنَ وَيُيَدُونَ لَهُ
دَمْعَ الْبَائِسِ وَالْمَحْرُومِ
رَاحُوا كَذِبًا يَتَنَاقِشُونَ عَلَى قَتْلِ الذَّنْبِ الْمَزْعُومِ
مَا زِلْتُ هُنَا
وَعَلَى دَمْعَةٍ قَلْبِي مَا مَرَّ أَحَدٌ
مُدِّي لِي حَبْلَكَ

يا مَنْ أَنْتِ تَقُومِينَ اللَّيْلَ عَلَى بَابِ الْبُتْرِ وَحِيدَةً
مِنْ طَرَفِ الْجَرْحِ الْمَعْصُوبِ بِخَرْقَةٍ أُمِّي
أَوْ مِنْ طَوْقِ قَمِيصٍ
قَدْ عَلَى ظَهْرِي مِنْ دُبُرٍ
شَدِينِي وَإِلَى عَيْنِكَ الدَّامِعَتَيْنِ
خَذِينِي لِنَعُودَ كَمَا كُنَّا نَبْجُرُ وَنَجْدُفُ
بِالْأَهْدَابِ عَلَى زُورْقِ حَلَمٍ
بِمَوَانِي عَشَقٍ فِي الْبَحْرِ بَعِيدَةٍ
مُتَّهَمٌ بِالشَّوْقِ الْعَلَنِيِّ
إِلَى مَرْفَأِ عَيْنِكَ أَنَا
مَحْكُومٌ بِالنَّفْيِ عَنِ الْخَضِرَةِ فِي عَيْنِكَ
إِلَى أَبْعَدِ حَدٍّ...
لَمْ يَبْقَ بِهَذَا الصَّحْرَاءِ مَلَأْتُ لِي وَسَنْدٌ
إِلَّاكَ، فَمَدَّي حَبْلَ وَدَادِكِ لِي
جَنَّ وَجُنَّ عَلَيَّ اللَّيْلُ...
وَحَتَّى اللَّحْظَةَ مَا صَهَلْتُ لِدَمِي الْوَاجِفِ
خَيْلٌ...

تكفي إطلالة نورٍ من وجهك،
كي ينهض جمرٌ مرتجفٌ من تحت رمادي
ملتمساً لمسة روحك في برد الصحراء
لروحي...
تكفيني نظرة حبٍّ واحدة منك
لتضميد جروحي..
فأغيشني بالمطر الموعود
في عينيك أرى اللوز الأخضر يسسم لي
وعلى خديك أرى حقل ورود
تكفيني إطلالتك
كي أتلقى حبل دمي الممدود..
وإليك من الوحل بقاع البئر أقوم
نظرتك المملوءة بالودّ تطمئنني
فأردد في سري
لا ليّل يدوم ولا هجر يدوم
إن كنت سأخرج
من هذا الوضع المأساوي

سأنصبُ أقواسَ دمي لاستقبالِك،
سأصفُ على الجنين كواكبَ عشقٍ ونجوم
تهتفُ إجلالاً لقدومك،
يا أجملَ من كُلِّ عذارى الدنيا في عيني،
يا أحلى امرأةٍ في مرآةِ الروح تناجيني
فتعالى قبل رحيل القمرِ الطالعِ،
من أفق الشهداء تعالي.. ضمّيني
وارتسمي ألماً تعشقُ لمستَه
في الصدرِ جُروح..
كم أحتاجُ إلى قمرِ البوح المتورّدِ
في شفّتكِ
أراهنُ بالعشبِ العذريّ
المخضّرُ على شرفاتِ الرّوح وأجزمُ
أنّك في كلّ حريقٍ ينشبُ بين الحُزنِ
وبينكِ تحتاجين إلي..
يا أغلى من نور العين
ومن نبض القلب علي

ها أنا آتٍ ببساطِ العشق
لطيّرين عن الرّوضِ المحتلّ طريدين
الليل رهيبٌ ومريبٌ في صحراءِ ذوي القُربى
سأخبّي عينيّ بعينيك،
وأنت بعينيك ستختبئين بعيني
وليشهدُ بردُ الصّحراءِ عناقَ العينين
خيّمنا في طرفِ الصحراءِ
تُناكفُ عاصفةُ الليلِ الرّمليّة،
لَسْنَا ممّن يتنازلُ عن نهرٍ
يتدفق بالحُبِّ،
وممّن يضعفُ في البذلِ
لأجل حبيته،
فيبدّلُ من بابِ الخوفِ بلاداً ببلاد
حينَ تداهمنا عرباتُ الرّيحِ لتقلعنا
من خيمة منفى تستكثرها في الصحراءِ
علينا
نعرف كيف نُحصّنُ خيّمنا

بالأسنان نعَضُّ على الأوتاد
ولعلمك أَعترف الآن ولا أنكرُ
أني لم أتقن في هذا البردِ الصحراويِّ
حراسةَ عينيك،
تلبّسني في منتصف الليل نعاسُ البید،
توسّدتُ سلاحِي وغفوتُ،
وتركتُك بين الخوفِ من المجهولِ
وبين الموتِ..
بالحقْدِ الوحشيِّ يُحاصرُك الغرباءُ
ها هم يبنادقهم دخلوا مقبرة الشهداء
اغتنموا فرصةَ نومي
وأمامك نبشوا أولَ قبرٍ صادفهم
وبأكعاب بنادقهم دقّوا عظمَ شهيد
ببساطيرٍ موجلةٍ طحنوه...
حتى أصبح في أيديهم مسحوقاً للتجميلِ
صبغوا منه وجوهاً
ما عرف العالمُ أبشعَ منها فايضتْ

عادوا قبل الصُّبح إلى باب الخيمة،
بوجوهٍ أنصعَ من وجهي
جاءوك يذمّون هواي،
ويتحللون العشق الكاذب،
حتى اتهموني بالنوم وزندقة العشق،
ولكن بعد قليلٍ من نشوتهم
وجدوني في باب أميرةٍ رُوحِي
أخشعُ وأقومُ الليل،
يمينًا ما عرفوا دربك يا مولاتي
لو لم يتتبّع أصفقُهم وجهًا
آثارَ خطاي..
لو لم تغفل عن باب الخيمة عيناي
ها قلبي التائبُ
يُلقي بحدائق توبتهِ
الوردية بين يديك،
وها رُوحِي تخلعُ معطفها الجسديَّ
وتأتي عاريةً من أيّ غبارٍ للغفلة،

كي تعتذر الآن إليك،
فقومي اغتيمي زحف العاشق،
بالصدر العاري فوق الجمر المتوهج
بالتوبة،
وهو يُعاهدُ عينيك على السَّهرِ الموصول
وسأختصرُ القول،
فشرحُ المُنْذِبِ في العِشْقِ يطولُ
لَمْ لا نتسامحُ ونمدُّ إلى صلحِ القلبين
يداً؟
ولتَشْهَدْ عودتنا لربيعِ محبَّتينا
أرضُ وسماء..
ولنعشق كيف نشاء
ولنرسم في البالِ زغاريد العُرسِ
كما نحنُ نشاء..
لا شأن لمخلوقٍ في غُرْبَتنا
لا شأن لناقدِ إبداعٍ في قِصَّتينا
لا شأن لعاذلٍ ليلٍ في قُبْلَتنا

لا دَخلَ بهذا العشقُ القُرويَّ لِإنسانٍ
ولنَشرِبَ كأسَ الحُبِّ معاً..
ولنتبادلَ أقداحَ الشوقِ إلى الأوطانِ.

مدن ترفع رأسها

مدنٌ ترفعُ الرأسَ،
قبلَ قدومِ الصباحِ،
وتخلعُ ثوبَ السباتِ العميقِ،
وتجمعُ من حولِ أجفانِها
الصاحياتُ قُرى
كعيونِ الصبايا تفتق..
مدنٌ تفقدُ الآنَ
ذاكرةَ الاحتلالِ،
وتفتحُ كلَّ الشبابيكِ،
تلقِي بأحزانها للرياح..
وترخي ضفائِرَ زيتونِها
لهواءِ الخلاصِ الطليق..
مدنٌ مثلَ خيلِ الصحارى
تحمحمُ من عطشٍ

يستبيح الخلايا
ومن فاقه
شرشت في العروق،
وظلت على عتبات الصهيل
تشدُّ اللجام العتيق...!
مدنٌ تبحث الآن
عن جذر أسمائها
في بطون التواريخ
تجمع كلَّ شهادات ميلادها
وتدقُّ على صدر كنعان
تسأله عن مدى عشقه
في ضمير الزمان السحيق
تفاتهجه بحنين الجذور إلى
تربة لم يمت حلمها
في غبار الطريق..
مدنٌ تتخطى الجراح
الدموع.. القبور،

وتضحك للشمس،
تنثر ورد الهتاف،
على شرفات البيوت
وترشق ماء الزغاريد
نحو العصافير،
في فرح
لا يصدقُه الحزنُ
وهو يقلُّبُ كفيه
بين ذهول العدو،
ودهشة عين الصديق..
أنا عاجزٌ..
في الصباح المتوجِّج
بالحور والعين،
عن وصف دقات قلبي
أنا عاجز البوح والصمت..
عند اعتراف الدم المتلثم
بالعشق

فلتعدريني..
إذا جئتُ مدثرًا
بالسكوت المطرّز بالدمع،
يا مدناً
تفتقُ غابةً أحزانها
عن غزالة قلبي
وتصبو حمائمها الحائماتُ
إلى آخر الشعر في دفثري..
وأعدريني إذا ما تأخّر في ركضه
نحو لوز العيون،
غزالُ الوفاء الرشيق..
أنا قادمٌ
بعد حينٍ
من الحلم بالصبحو،
يا مدناً رفعتُ رأسها
لسماء الكلام الرقيق
أنا قادمٌ

بورود القصائد
والقُبَلاتِ الخجولة
من عمرها في الغيابِ
فَرُشِّي خطاي
بماء انتظاركِ علي
قبيل الوصول المُرجى
أفيق...!

إليها وراء النهر

يا من على الجسر قد لوحت لي بيدٍ
وأنت تعلم أني ألفُ أهواها
اصبر عليّ وخذ من مهجتي وفمي
قصيدةٌ يذهلُ العشاق معناها
فكلُّ بيتٍ بها بالعشق ممتلئٌ
قد صاغه شاعرٌ يصبو لدنياها
ما بين حرفٍ وحرفٍ دمعَةٌ ودُمٌّ
وخفقةٌ من فؤادٍ أدمن الآها
يا عابرَ الجسرِ والحراسِ قد فزعوا
من عاشقٍ رافضٍ صَدًّا وإكراهاً
إذا وصلتَ إلى دارٍ تزيئُها
بحُسْنِها وبسحرٍ من مُحيّاها
فقل لها: إنَّ قلبي باتَ يسألُني
في آخر العمر هل نحظى بمرآها؟

أقرئ سلامي لها واشهد بأنَّ يدي
في الهجر تحلُّمُ أن تغفو بيمنها
إذا مررت على شباك لوعتها
وساءلتك بدمع الشوق عينها
فقل لها: إنَّ جرح الصَّبِّ فاض دماً
وما له مُسعفٌ في الهجر إلّاها
لو أنها طلبت رُوحِي بلا سببٍ
ما كنت أمنعُها أو رُحْتُ أنهاها
وكيف تطلبُ رُوحِي وهي عالمةٌ
من قبلُ أنَّ بروحِ الرُّوحِ سُكناها؟

يا عابرَ الجسرِ خذْ كُلَّ الحنين لها
حتى ترى فيه كم أشتاقُ لُقيها
وقل لها إن بدا ظنُّ يساورها
من طولِ نأْيٍ بآني لستُ أسلاها
في الحُلُمِ زائرةٌ في الصَّحْوِ ماثلةٌ
كم أشتهي أن أراني في مراها

العِيشُ من دونِها مُرٌّ شَقِيتُ به
ما كُنتُ أَرْضِي بِمُرِّ العِيشِ لولاها
وَلَيْسَ في غُرْبَتِي شَيْءٌ يُعَلِّلُنِي
إِلَّا يَقِينِي بِأَنِّي سَوْفَ أَلْقَاهَا
أَحْيَا عَلَى أَمَلٍ ما زال يُؤْنِسُنِي
في وَحْشَةٍ لِلْمَنَافِي بَتْ أَخْشَاهَا
بَرِيقُ بَسْمَتِهَا الْأَهْدَابُ تَحْضُنُهُ
وَالْأُذُنُ تَعْشَقُ في مَنَفَايَ نَجْوَاهَا
رَحِيقُ هَمْسَتِهَا شَهِدُ الشِّفَاءِ بِهِ
من داءِ هَجَرٍ وراءَ النَّهْرِ أَخْفَاهَا

يا عابِرَ الجِسْرِ تَمْتِمْ بالدَّعَاءِ مَعِي
وَقَدْ رَجَوْتُ عَلَى بابِ النَّوَى اللَّهَ
بأن يُعِيدَ لَنَا أَيَّامَ بَهْجَتِنَا
تلكَ التي ما تَبَقَّى غَيْرُ ذِكْرِهَا
لَا سَلَّمَ اللَّهُ مَنْ مَدَّ السِّيَّاحَ عَلَى
جِسْرِ التَّلَاقِي فَلَمْ أَنْعَمْ بِمَلَفِهَا

هي الربيعُ الذي لا ينقضي أبداً
في حقلِ عمري وعمري كم تمنّاها
مع كلّ دَمعةٍ جرحٍ رُحْتُ أذكرُها
عَدِمْتُ ذاكرتي إن كُنْتُ أنساها

نهر لشجر العاشق

مُذْ أَوْجَعْتُهُ مِنَ الْعَيُونِ،

سَهَامٌ..

مَا عَادَ قَلْبِي

فِي هَوَاكِ يُلَامُ

أَمْسَى كَعَصْفُورٍ جَرِيحٍ

ظَامِيٍّ..

تَصْحُو جَفُونُ جَرَّاحِهِ

وَتَنَامُ..

يَا مَنْ حَسِبْتَ الْحَبَّ صَيْدًا

جَارِحًا

صَيْدِي أَنَا لَوْ تَعْلَمِينَ حَرَامُ

رُدِّي سَهَامَكَ لِلْعَيُونِ

فَكَمْ بِهَا شَقِيتَ طَيُورٌ

وَاسْتَجَارَ حَمَامٌ

بالله هل ملك القلوب

وعشقها

من جرّها للأسر

وهي تضام؟

الحب ليس تجبراً

وتملكاً للغير..

أو ظمماً له أحكام

الحب غيم مرسل أمطاره

للظامئين،

وبرقه البسام

بشري لنهر حالم

بصفافه

تتعانق الأشجار والأنسام

للحب ميدان ولكن..

ما به خصم

ومغلوب به استسلام

كوني ربيعاً دائماً

بوروده

تتسّم الأوراق والأكمّ

كوني سماءً

في بريد نجومها

بوح الحنين رسائل وكلام

كوني صباحاً

لا يُخبئ شمسهُ

تحت الجفون

فيتّقيه ظلام

كوني كما تهوين

لكن دعك من

لغة بها بين العيون

خصام..

فالحبُّ إثار

ونبع تودد في الروح،

تعرف سرّه الأحلام

والحبُّ عدل للقلوب،

وليس في قاموسه الأسيادُ،
والخُدَّامُ..

بمذاهب العشاقِ

هذا مذهبي

وأنا له متصوِّفٌ وإمامٌ.

تكوينات في فضاء الكلام

(١)

تداخل المجهول والمعلوم
في مدينة مهجورة
ولم تعد هناك للوضوح صورة
ولم تعد للحب بين شارعين فارغين
لوحة منظورة..
فدار خلف باب الصمت شيء
يشبه الحوار بين عاشقين أجمعا
على المرور ذات ليل من بوابة المدينة
واتفقا على تبادل مجرّح لدمة حزينة
وهكذا تساقط المطر
على نوافذ المنازل القديمة
حتى تبلل العشب الفقير للندى
وأفصح المدى
عن خطوة جريحة مقهورة

فبان سرُّ واحدٌ

لوحشة المدينة المهجورة.

(٢)

الحبُّ لا يجيُّ ساعةً المغيب

إلا كبرقٍ يُجهضُ الغيوم

إن كنتَ ذات ليلةً مسافراً

في عالمٍ رهيب..

ورحّت تسأل النجوم

عن وجهةٍ مأمونةٍ لطائرٍ غريب

ستحتسي النجومُ دونما رقيب

سكونها الليليّ كنّ تجيب

إلا إذا فتحت في الفؤادِ دفترَ الوطن

وقلت: يا نجومُ

لا أرى إلّاكِ حارساً على دمي المنسيّ

في تغريبة الضياع والشجن

والضوء لا يجيُّ ليلةً الرحيلِ

لا يُضيء

إلا كشارة حمراء ترشق الردى
في وجه عاشق بريء
(٣)

حبيبي تقول لي:
ماذا جنيت من تعويذة الدخول
في مرارة الخطي
سوى عباءة فضفاضة حمراء،
فصلتها الريح من دم الغيوم
وحاكتها لك الغروب:
ماذا جنيت غير صورة مشروخة
لحلمك المقلوب؟
حبيبي تقول لي:
بيني وبينك استغاثة الزيتون والنخيل..
من عطش يقضض الجذور
ويُنذر الربيع بالهلاك والشور
بيني وبينك انكفاءة السيوف
يا حبيبي

وحرقةُ الدمِ المهدور
وألفُ لوعةٍ على السياجِ
عندما يشبُّ في صدور العاشقينَ
موقدُ الحنين للعبور
حببتي تقول لي:
لا توقد الشموعَ والبخور
كعادة النساءِ في المعابد القديمة
فوجهي المسيّ لا يُطلُّ من تسبيحةٍ
دموعُها تبللُ المحراب
وطيفُهُ عن العيونِ الذابلاتِ غاب
فكلما تفتحت له نوافذُ الخلاصِ،
أحكموا على الحزينِ دون رحمةٍ جحيمة
حببتي تقول لي:
- لا ترتمي بدمعةٍ تنهدت
على الجدارِ..
فوجهي استدار واستدار
وصار بدرأً يؤنسُ القرى المصلوبةَ الرؤى

وصارَ قصَّةً لشاعرٍ شعبيٍّ ..

يساهرُ السَّمَّار ..

يعلُّ الصغار والكبار

(٤)

يحطُّ وجْهك الورديُّ

في الفؤاد كالحمامة المكيَّة

أستجمعُ العروق والأنفاس

أعانقُ الإحساسَ في قصائدي

أبشِّرُ الإحساس ..

بمقدَمِ النجمِ الخجولِ

من بلادِ الليلِ والأسى

لكنَّ وجهك الدُّريَّ عازفٌ

عن التوهجِ العذريِّ في حدائقِ المُنَى

وحالمٌ بعرشه المُقامِ في الفضاء

وعاشقٌ للوردِ والسنابلِ الخضراءِ

والحرية ..

وباسمِ بكبرياءِ نوره

في وجهِ عالمٍ قسا
ينسابُ حبُّكَ الشهويَّ نهرًا ساخنًا
يشقُّ تربتي نصفين
فأنتشي بماءِ نبعهِ النقيِّ
منشدًا للعشبِ والأشجارِ والطيور
أظلُّ مثلَ الطفلِ في بُستانِ فرحةٍ أدور
لكنني ما بين نشوةٍ عذريَّةٍ وأغنيةٍ
أبيتُ ظامئَ الضفافِ،
حائرَ الأوتارِ واليدينِ
فتهمسُ الحجارةُ السوداءُ للطريقِ
في شجنِ
لعلَّه يمرُّ من هنا بلا وطنٍ
يصيحُ في ديارِ الصُّمِّ،
لا هتَّ الجراحِ دامعِ العينينِ:
- بالله لا تُحدِّقي في وجههِ المخطوفِ يا عيون
أما رأيتِ عاشقًا مسافرًا بلا هويةٍ؟
أنا هنا
ما زلتُ مسرفَ الوقوفِ

مولعاً بلحظة انتظار
وأنت يا أميرة الغياب،
لا تحاولين فهم حرقتي
ولوعة اضطباري
إلى متى يظل هذا الليل
يحتسي سواده
من فحمة تنهدت
في موقد انكساري؟
إلى متى تستأثرين بالعزوف
عن قصائدي
وأنت تعلمين جيداً
لمن كتبتُ يا حبيبتي أشعاري
أنا هنا
على رصيف شارع الحياة
ليس لي
سوى الإذعان لاغترابي
أنا هنا
لا شيء غير الحزن دقَّ بابي.

عرس يحضره القيصر

بعد قليل من وقت القيصر..
يدخل مجلسه وجهاء غسانة الشرق،
يهزون عصا الطاعة
ويؤدون ولاء للحرب جماعة
يدعون لأن يبقى القيصر سنداً للمظلوم
ومُعِيناً للسائل والمحروم..
وبصوت مرتجف بين الخجل التاريخي
وبين الحب المزعوم..
يعلو في الأجواء هتاف
(عاش القيصر.. عاش الروم)

يدخل غساني
بقصيدته العصماء،
تعمد أن يتأخر

لُشِيرَ الْمَجْلَسَ طَلَّتْهُ
يُلْقِي شِعْراً يَهْجُو فِي مَطْلَعِهِ كِسْرَى
وَيَدِينُ مَنَازِرَةً

عَلَفُوا مِنْ قَمَحِ خَوَابِيهِمْ خَيْلَ الْفُرسِ
وَيَصَوِّرُ أَجْرَاسًا تَعْلُنُ
عَنْ حَبِّ الْقَيْصَرِ لِلْقُدْسِ
وَحَتَامًا

وَبِآخِرِ بَيْتٍ بِقَصِيدَتِهِ
شَاهِدُهُ مِنْ سَمْعُوهُ
يَسْتَجِدِي مَهْرًا لِأَمِيرَةٍ عُمُرِهِ
حَتَّى حَارَ الْجَمْعُ بِأَمْرِهِ..

وَهُنَا دَوَى التَّصْفِيقِ
مِنْ وَجْهَاءِ غَسَّاسِنَةِ أَحْرَارٍ
فِي أَثْوَابِ رَقِيقٍ..
مَا بَيْنَ التَّكْذِيبِ بِتَحْقِيقِ الْحَلَمِ.

وَبَيْنَ التَّصْديقِ
يَصْدُرُ أَمْرُ الْقَيْصَرِ

يُعلنُ عن عرسٍ لعريسِ الغفلة
يُسمعُ صوتُ الشَّبَّابةِ والأرغول
تحلو الدبكة بينَ زغاريد النسوة،
وتُدارُ القهوة..
بحضور القيصر

ولوجه الصبح على بُسْطِ الليل الأسود
ظَلَّتْ حلقاتُ غسانةٍ تصطفُ وتسهر.

المايسترو

من يحفظُ في هذا العالم
"نوتة" ألحاني عن ظهر القلب،
وتدعن أطرافُ أصابعه لتعاليم عصاي
هو عندي ديمقراطيٌّ جداً
تحضنُ وتباركُ طاعته العمياء يداي
لكن من يخرجُ عن تلويحة إيقاعي
أدمغه بالعصيان الموسيقيّ...
من قدميه إلى أذنيه..
أعلنُ غضبَ الألحان عليه
أطردهُ من فرقة موسيقيّاي على الفور
مهما كان له من دور..
لن أشفقَ من صعلكة الطرقات عليه
حتى لو بات على
أرصفة المدن المغضوب عليها

يتسوّّل لقمته من أيدي الناس
حتى لو طارد آلتة الموسيقى
شبح الإفلاس

أنا مايسترو المعزوفات الديمقراطية
وَصَلَاتِي تتحدثُ عن حق القاتل
في نفي التهمة حتى لو
بان دم المقتول على "بوز" حذائه
وتبقّع بدم المغدور القاني
كمُّ ردائه..
للقاتل في عُرف عصاي الموسيقى
أن يتذمر من إصرار ضحاياه
على إعدامه..
وله أن يتباهى بفضاعة إجرامه
سأقدمُ في الحفل السابع والستين
آخرَ ما ابدعتُ من التلحين..
سأقولُ بموسيقاي لكل المدعوين

الحقُّ مع المحتلين..
في نصبِ حواجزٍ قهريٍّ وحصارٍ
والتهديدِ بقتلِ الثوار
وسجنِ الأحرار..
الحقُّ لهم في كلِّ تناغمهم
مع تعليماتِ الموسيقار
سأقول بلا قولٍ واضح
حتى لو أن اللحن لأسماع البعض هنا
جارج..
الحقُّ مع المستوطن
في استيطان أراضِي الغير
وله أن يتقدم فيه الشرُّ
على الخير..
وإذا لم يدعن أهلُ الأرض لسطوتهِ
فله أن يقتلَ ويطارِد أصحاب الحقِّ،
ولا ضير..
أمّا حين يصوره أحدُ الصحفيين

وهو بنار الحقد المجنونة يحرق طفلاً
في سنّ الروضة يحفظ شعراً
لفلسطين..

فليأخذ من موسيقي
إباحة ما ليس مباحاً
وليكسر ويصادر كاميرات الصحفيين
أنا مايسرو الألحان الغربية
للشرق وللغرب أقول
باللحن الأمميّ

وعمر السامع في الأرض يطول
بيدي مفتاح السلم السحريّ
وكلّ مفاتيح الحرب بجيبي
وسيسلم من أيّ أذى
من يتبع تعليمات عصاي
ويلثم آثار خطاي بدربي
ممتدحاً وصلاتي
فلتستمعوا

لبياني الموسيقي الآتي
لمدلة الغرب
على باب المتوسط
أن تنشب كل أظافرها المصبوغة بالدم
في لحم الأطفال الرضع،
حتى العظم..
ولها أن تخفيهم عن عين الكاميرا
تحت الردم
فرجاء ثم رجاء
لا يزعج أحد في هذا العالم مولاتي
لا يجرح أحد هيتها
أو يفسد نشوتها
بحديث عن عاصمة أو دولة
وليحذر من حراسي الموسيقيين
المتخذين أماكنهم حوله
أستأذنكم لأقول..
من دون التلويح بأجراسٍ وبقرعٍ طبول

من حقّ

الللص الموسيقيّ

المتنّع بالمسروقات الموسيقية

أن يستلقي ويمدّد رجله

على مقربةٍ من ألحاني

من حقّ الجاني

أن يحكمَ بالإعدام على القاضي

غضبَ الغاضبُ

أم رضيّ الراضي

إلى آخر الأرض خذيني..

لعينيك خضرةً لوز قُرانا الحزينة
خذيني إلى أفقٍ أخضر الغيم،
في القلبِ وردةً شوقٍ تلوبُ،
وتخفي عن العينِ،
طعنةً عشقٍ دفينه..
حمامةً قلبي التي أطلقتها يداكِ،
إلى ساحةِ الشهداء البعيدة عادت
بلا أيِّ غصنٍ..
إلى قفصِ الصدر مقهورةً وسجينة،
وروحي التي بايعتكِ على الموتِ..
يومَ الدخولِ الخجولِ إلى لوز
عينيكِ،
ما أنقذتها سفينةُ نوح فلسطينَ،
ظَلَّت على ذمةِ الماءِ،

خلف ضلوع البحار رهينة..
خذيّني إلى غرقٍ لا ينافقُ جنّةَ البحرِ،
أو يتواطأ مع مبطلات الرحيل الذي
تبتغيه..

احمليّني على مهرة المرسلين إلى
لعنة الكافرين،

وليّاً طريد الوصايا
خذيّني إلى آخر الأرضِ،
كوني مداراً حميماً لكوكب رفضي
ولا تهبطي بي إلى أيّ ماءٍ
يعاقر في حانة الموتِ،
خمر احتضار السفينة..

لعينيك خضرة موج السنابلِ،
في مُقلّ الجائعين،
فكوني أميرة خصبٍ على منبر الشعراءِ،
تقولين ما تحسنين من القولِ،
بعد اختفاء الرغيف بعتمة أحلامنا

وانتحرار الخوابي
على جبهة اللغة المستكينة
أرى من ثقب الجراح
قراصنة في الظلام يشقون قلب السحاب
بساحة قريننا..
وأرى البحر يهدر في أعين الواقفين،
على جث العاشقين...
فلا شيء تفصح عنه المرافئ
غير سمسرة يكسرون نبيذ
احتفالاتهم
بدموع المجاديف،
لا شيء يلمع تحت رماد الشواطئ
غير خيوط الصباح الكفيف،
وغير نحيب الشعاع الحزين...!
لعينيك خضرة زيتونة
تذكر الأنبياء الذين استظلوا بها
واحدًا واحدًا..

فانهضي مثلما ينهض الشجرُ
المقدسِي،
ومدّي يديكِ إلى قُبَّةِ الروحِ،
ضُمِّي لصدركِ عشبَ دمي،
واشتعالَ فضائي..
فبينَ أصابعكِ المستحمةِ بالنورِ
والنارِ،
مسكُ هوائي الفقيدِ،
وبهجةُ خبزي ومائي
خذيّني لبحركِ خيطاً من الضوءِ،
ينسلُّ من فحمة الليلِ،
مستفتحاً بالتوهج بينَ الرموشِ
بوجه أريحا..
خذيّني ولا تفزعي
من فظاعةِ مرآي فوق
الصليبِ بلا رحمةِ،
حيثُ شُبّهتُ للقاتلينَ

وما كنتُ بين عيونِ الطغاةِ
المسيحا..

خذيْنِي إلى صبحِ زغردةٍ خبأتها
لرجعةٍ أغلى الأُحبةِ أمِّي..
وإياكِ أنْ تحمِليني إلى قلبِ أمي
لسانًا ذبيحًا وعشقًا كسيحا
هو الموتُ من شدةِ الخوفِ بين
المقابرِ،

أهونُ من أنْ تعانقني
بين حيفا وغزةٍ أمِّي
فتحضنَ في داخلي المتجملِ بالصمتِ،
والليلكِ المتهافتِ،
قبراً فسيحاً
وموتاً مريحاً...!

حُرَّاس الصمت

يا حُرَّاسَ جدار الصمت الأسود،

من سدَّ ثقباً فيه..

يتسربُ منها بعض النور؟

من هزَّ بنادقه في وجه عيوني؟

اسألکم إن كنتم عقلاء..

هل فيکم من يملكُ وصفة صمتٍ

لجنونِ الحرف على شفتي

أو من يُسكتُ لُغتي

ويعقلنُ خلف جدار الصمت

جنوني..؟

إن أخرجسکم واجبُکم

في حفظ الصمت أجيوني

بخطوطِ حمراء..

تتوهجُ في الظلماء

وبهزّ رؤوسِ تبرُّقٍ فيها
أعينكم كالجمر فتؤنسني
في ليل ظنوني..
فأرى لغتي الأمّ تدافع عني
وتقاتلُ دوني..!

نقطة الصفر

كيف لي أن أعود،
إلى نقطة الصفر،
بعد ثلاثين عاماً
من الجمر والريح
والشجر المنتهّد،
في غابة العاشقين..
كيف لي أن أُعيدَ
المجاديفَ للزورق المتواري
بعينيك معتذراً
عن مجادلة البحر،
دون التفاتة حزنٍ
إلى مآتم الذكريات المقامِ
على شرف المبحرين..
كيف لي..

أن أدرج قلبي
على جبلٍ شاهقٍ
من رماد السنين
لأتركه نهبَ أوديةٍ
سكت الطير فيها
وخيم فوق حصاها
غبارٌ حزين..
ليتني يا الحبيبةُ
أطعنُ مارِدَ ظني
ببسمَةِ عينيك في خاطري
أو برمح اليقين..
لأخرج من نقطة الصفر
حيًا كما تخرجين..
وتلغَ روعي
بأول حرفٍ من اسمك،
تلغُ حتى
تفوح من الحرف رائحةُ الياسمين

أتخيلني

تلفظني طرقات الليل مراراً
وتدير الظهر لقلبي
كل الحارات المزدحمة
أصبح في نظر الشارع صيفراً
لا قيمة له..
أتخيلني جثة إنسان
تفلت من أيدي القتلة
أترمل بالغربة لكنّ الريح الهوجاء
تغلق في وجهي أبواب مقاهي الغرباء
فأعود لقمّة أشعاري
لأصور بالكلمات جمال الحسناوات،
المصطفة في صحراء الروح
وأرسم بالشعر وجوه صبايا
لم أبصرهن بعيني..

لأردّ الوحشة عن روعي
لأرى الورد المتناعس يتغفّى
بين يديّ
وأكادُ أعانقُ فرحاً لا يأتي
يبقى مختبئاً
خلفَ عيون الحسناتِ المحتشمة
فالوذُ بصورةٍ شعرٍ
تبقى في وجهي مرتسمة.

دمعة على خد فلسطين

لا أدري ما عددُ القتلى اليوم
في بغدادَ وفي ليل الشام
لا أدري
كم أصبح في وطني الدامي
عددُ الأيتام..
لا أعلمُ يا وجهاءَ الحزن
بيتَ عزاءٍ عروبتنا
كم عددُ المدعوين إلى
مأدبة الموتِ على شرف الإسلام
أقصى ما أدريه
أنّ الموتَ بأسياف ذوي القربى
ألفُ كرية..
فرسانُ قبائلنا في سوق عكاظ
يتباهون بحرب الإخوة،

ما زالوا منشغلين بإلقاء قصائدهم
عن كُلِّ ثغور الرّوم
وعن كُلِّ خطوط النار
وشيوخُ قبائلنا مختلفون على
ألوان عمائمهم
منهمكون بإعدادِ ولائمهم
ليُقالَ لهم كرماءُ بشهرةِ حاتمهم
فرشوا لغريم الأمة قلبَ الدار..
آه لو يعلمُ فرسانُ قبائلنا المقتتلين..
كم تبكي في الليل عليهم
من أعماق القلب فلسطين...!

الرجل الخامس

في المؤتمر السابع والعشرين
لحزاني العالم..
قام الخطباء
صعد إلى المنبر بعض الشعراء
بقصائد حلم عَصَمَاء
قال الأول من جملة ما قال:
الكلمة ماتت واختنقت بالدمع،
ويحسن من يقف الآن دقيقة صمتٍ
قال الثاني:
هذا زمن الموت بلا موت
قال الثالث:
لا أملك إلا أن أتلو الفاتحة،
على لحد اللغة المؤودة،
وأعلق إكليل الورد على قبر الحرية

قال الرابع: أنتم أصنامٌ للحزن
وهذا مؤتمرٌ للوثنية
وهنا انسحب الرجل الخامس
دونَ كلام
فاسترخى الحزنُ بأعماق المؤتمرينَ
ونام..

سلاحنا الجميل

هُوَ الشَّعْرُ يُمَسِّي
على شرفات الرِّدَاءِ
ذاك السِّلَاحَ الجميل
هُوَ الشَّعْرُ نَبْعُ الضِّيَاءِ الرَّقِيقِ
إذا ما سكتنا قليلاً تدفَّقَ فينا
ودفقتُهُ المستَفِيقَةُ نَارًا ونور
يغامرُ في قرعِ أَجْرَاسِهِ ويثور
عند بابِ السَّكُونِ العميقِ

هُوَ الشَّعْرُ يَنْبُشُ فينا
رفاتًا من البوحِ
شيعَها الواقفون على شرفة الصَّمْتِ ليلاً
وعافت ظلامَ القبورِ
يُبرِّئُهَا من رحيل المعاني

إلى أيّ منفى

يُهيئها من جديد ليوم النشور

هنا الشعرُ يقطفُ وردة عشقٍ

نمت فوق قبر الشهيد

مُضمخةً بأريج الغضب

ويشبكها بجديلةٍ أحلى بنات العرب

فتلثمُ وجنته

وتغني له:

ستبقى بعيني يا أيها الشعرُ

أغلى عشيق

أغازله من وراء الخباءِ

وأصبله

كلما زمنُ العشيقِ راح يضيق

ستبقى وراء خيول الجليد الجموحةِ

فارسٍ حلمٍ يليق..

بسيف اللهب.

همسات ليل

(١) مناجاة

ماذا أقولُ لوالدي،
إن عادَ يوماً سائلاً،
عن حقل زيتونٍ أحبه؟
أقولُ ضاع،
ولي فؤادٌ يا أبي ليلاً،
يُنَاجِي في ظلام القهرِ ربّه؟

(٢) رسالة وصلت

جاءت رسالتها
كرمحٍ ظاميٍّ طعنَ الفؤادَ،
وراحَ ينهلُ من دمي،
قالت:
عرفتُكَ عاشقاً مُستبسلاً،
والآن أنت،

بكهف صمتك ترتمي!

(٣) سباق مع الموت

عُمُرٌ يسيرٌ إلى النهاية،

راكضاً..

كالطفل يعدو

خلف أمّ لا تراه،

يا موتُ،

لا تسبقْ خطايَ لقريتي،

دعني أعانقها

وخذ مني الحياة!

(٤) اغتيال

نهبوا خطايَ وازمعوا

تحطيمَ رأسي

في ليلِ اطماعٍ لهم،

يغتالُ شمسي

لم يتركوا لي وقعَ خطوٍ واحدٍ؛
لم يتركوا قبراً
أُوارِي فيه نفسي

(٥) حَقْدُ فائِض

خَصَمِي عَلَى عُنْقِي أَنَا
بِيَدِهِ قَابِضٌ..
عَبَثًا أَوْدُتْ فِلْتًا،
وَالْحَقْدُ فَائِضٌ..
هُوَ ذَا يَحَاصِرُنِي بِلَعْنَةِ حَقْدِهِ،
وَيُرِيدُ حَرَقَ هَوَيْتِي،
وَأَنَا أَفَاوِضُ!

(٦) المَعْذَرَةُ

يَا قُدْسُ مَعْذَرَةً
فَمَا عِنْدِي سِوَى
دَمْعٍ يُبَلِّلُ فِي النَّوَى،

وَجْهَ الْقَصِيدَةِ.

مهما ابتعدتُ، وراء غُربة دمتي،

ما كُنتِ،

عن عيني، أو روعي، بعيدة.

(٧) وَحْلُ الطَّرِيقِ

أنا يا بلادي،

ما اعتذرتُ لأنني

لا أستطيعُ إلى الربعِ

وُصولاً

لكنَّ مَنْ وعدوا خطايَ بعودةٍ،

غابوا

وخلَّوا في الطريقِ وُحولا.

(٨) رُبْعُ الْوَصِيَّةِ

ندمَ الشهيدُ على الوصيَّةِ،

إذ رأى

مِنْ يَأْخُذُونَ مِنَ الْوَصِيَّةِ

رُبْعَهَا

فَسَرَى إِلَى الْأَقْصَى

بِرُوحٍ أَرْسَلْتُ

فِي سَاحَةِ الْمَسْرِى الْحَزِينَةِ

دَمْعَهَا.

(٩) انتظري

يا قريتي انتظري

فإني قادمٌ،

حتى ولو جرُّوا إلى حُلُمي،

القيود.

لم يَبْقَ وقتٌ لانتظارِ قوافلي،

فاضِ الأسي

والصَّبْرُ باتَ لَهُ حُدُود.

(١٠) خيلٌ حالمة

يكفي سكوتًا
والأسى يتكلمُ
الصَّمتُ قاسٍ والمَدَى
يتألمُ

من نوم خيلٍ
أدمنت أحلامها
لا نصرَ يُغريها
ولا هي تهزمُ!

(١١) فجرٌ طالع

صبرنا إلى زمنٍ
تبيضُ ديوكُهُ
وتصيحُ فيه دجاجةٌ حمقاءُ
باضت في العراء
فنظنُّ أن الفجرَ فينا،
طالعٌ..
والشمسُ مالت للمساء

(١٢) سلامٌ بارد

ماذا جنينا

من سلامٍ باردٍ

غيرَ الجليدِ ولعنةِ استيطانِ

أرضي تضيّعُ

بفعلٍ لغوٍ خادِعٍ

والغاصِبُ المحتلُّ حلَّ مكاني.

(١٣) بابٌ للحلم

هذا أنا،

من دون أحلامي، مضيتُ

أخطو علي جمري،

ولكنِّي مشيتُ،

أغلقتُ بابَ الحلمِ

دون تردُّدٍ..

لَمَّا إلى تحنيطِ أحلامي

انتهيتُ.

(١٤) عند الوصول

أنا لن يكونَ معي
سِوَايَ بخطوتي
عندَ الوصولِ إليك،
فاستثني سِوَايَ..
أحببتُ أن يأتوا معي
لكنَّهُمْ
خذلوا وخانوا في تراجعِهِمْ،
خُطَايَ!

(١٥) بحرٌ يشكو

بحرٌ هنا يشكو،
وتلكَ جزيرةٌ
تتوَعَّدُ البحرَ العظيمَ،
وتُنذِرُ
لا شيءَ يردُّعُها،
ويلجُمُ صوتَها،

ما دام بحرُ شعوبنا
لا يهدُرُ!

(١٦) وحدة الجراح

إن لم توحدنا الجراحُ،
فما الذي،
فيما، يوحدُ في الطريق،
خُطانا؟

لا صبرَ يا أيوبُ يُسكِتُ خوفنا
من فرقةٍ
باتت تزيدُ أسانا.

عالمٌ ظالمٌ

عالمٌ ظالمٌ أباحَ دمائي
فأمامي ذئابُهُ وورائي
إن تقدّمتُ خطوةً فعدوّ
أو تراجعْتُ فاض سبيلُ عداءِ
عالمٌ غابّةٌ يفيضُ وحوشاً
كاسراتٍ والكلُّ يرجو فنائي
في فلسطينَ قد تمادى احتلالُ
ينهبُ الدّربَ طامعاً في حذائي
ولدى الغرب حاقدون علينا
يتنادون ويحهم للقائي
بخداعٍ مُبَيّتٍ ودهاءٍ
أسودِ اللّون فاق كلّ دهاءٍ
مُسلمٌ مؤمنٌ برّبٍ رحيمٍ
وهم الكارهون صدق انتمائي
رغم أنّي برئتُ من أيّ حقدٍ

بَلْ عَلَيْهِمْ عَقْدَتْ بَعْضُ رَجَائِي
فَتَمَادُوا وَهَيَّئُونِي لظَلَمٍ
وَخَدَاعٍ وَنَكْبَةٍ وَبَلَاءٍ
فَمَتَى يَنْهَضُ اتِّعَازٌ بِقَوْمِي؛
وَمَتَى أُمَّتِي تَصُونُ دِمَائِي؟
أَلْفَ ظَلَمٍ مِنَ الطَّعَاةِ لَقِينَا
أَلْفَ غَدْرٍ مُغْلَفٍ بِرِيَاءٍ
وَشُعُوبٍ بِأُمَّتِي قَدْ أَهْنَتْ
وَأُحِيلَتْ لَغْرَبَةٍ وَشَقَاءٍ
يَا إِلَهِي أَجِرْ جِرَاحِي وَقَلْبِي
خَاشِعٌ ضَارِعٌ بِصَدَقِ دَعَائِي
صُنْ دِمَائِي فَقَاتِلِي فِي صَلَاتِي
يُضْرَمُ النَّارَ حَالِمًا بَانْتِهَائِي.

يا عاشق الشام

يا عاشقَ الشام قلبُ الشام في ألمٍ
وأنتَ عن صوتها المجروح في صممٍ
أما دهاك مصابٌ قد أطاحَ بها
وأنتَ عاشقُها المُضنى من السقمِ؟
أما تحرَّكَ فيك العِشقُ منتصراً
لدمعةٍ فوق خدِّ الشام لم تنمِ؟
انهضِ إليها فريح الليل تجلدها
وليُلهَا حالِكٌ مُستحكِمُ الظلمِ
الحربُ عرَّتْ لها صدراً وأنتَ هُنا
لا غيرَةٌ فيك مُذ أصبحت كالصنمِ
ليلاك في لهبِ الأحقادِ غارقةً
وأنتَ ساهٍ ولاهٍ تائهُ القدمِ
يا عاشقَ الشام ليلي الشام قد ذرفت
حُزناً عليك دموعاً أتبعَت بدمِ

بِكَ استجارت وَحَبْلُ الهَمِّ يَخْتُهَا
وَاسْتَبْشَرْتَ فِيكَ بُرْكَانًا مِنَ الْحَمَمِ
فَنَابَ ثَلْجُكَ عَنْ نَارٍ تَدْفَعُهَا
وَلَيْتَ بَرْدَكَ فِي جَنِيكِ لَمْ يَدُمِ
خَابَتْ ظَنُونٌ لِلَّيْلِ مُذْ أَلَمَّ بِهَا
عَصَفٌ مِنَ الشَّكِّ وَالتَّلْوِيحِ بِالتُّهَمِ
بِأَنَّكَ الْآنَ فِي نَوْمِ الْكَهَوفِ وَقَدْ
شُغِلْتَ عَنْهَا بِأَضْغَاثٍ مِنَ الْحَلَمِ
فَالصَّمْتُ كَذَبَ عِشْقًا فِيكَ غَاظَلَهَا
وَكَذَّبَ الشَّوْقُ فِي الْأَشْعَارِ أَلْفُ فَمِ
لَوْ كُنْتَ تَشْتَاقُ لَاسْتَمَرَّتْ نَجْدَتُهَا
وَقَمْتَ لِلثَّأْرِ مِنْ بَاغٍ وَمُنْتَقِمِ
لَكِنَّكَ اخْتَرْتَ فِي الْبِيدَاءِ تَسْلِيَةً
بِالشَّعْرِ وَالثَّرِّ وَالتَّخْدِيرِ فِي الْكَلِمِ
حَتَّى الْقَصَائِدُ فِي لَيْلَاكَ قَدْ ذَهَبَتْ
كَأَنَّكَ الْيَوْمَ لَمْ تَعِشْ وَلَمْ تَهَمِ
مَا لِلرَّوَّاعِ يَا الْمَجْنُونُ قَدْ دُفِنْتَ

تحت الرمال كأكوام من الرّم؟
هل بتّ في حردٍ هلّ بتّ في ندمٍ
من مدح ليلي بدمعٍ غير منسجمٍ
من ردةٍ فيك ما زالت مُطاطئةً
للريح رأساً لتبدي روحٍ منهزمٍ؟

* * *

يا ويح ليلي وقد هامت بهودجها
تُسائلُ البید عن شيخ الهوى الهرمِ
لِيُفصَح الصّمتُ عن لا شيءٍ ذي أثرٍ
والحزنُ يعلو كسيلٍ جارٍ عِرمٍ
يا ليتها لم تقل والدمعُ يسبقُها
نبذتُ قيساً ولن تسعى له قدمي
ما عاد يصدّق في حبٍّ وفي غزلٍ
ما دام قد غاب عن جرحي وعن ألمي
أظنُّه مات في قلبي وفي خلدي
وصارَ في نظري طيفاً من العدمِ

* * *

يا عاشقَ الشَّامِ عُدْ للعشِّقِ متنفِّضاً
فحُرَّةُ الشَّامِ نادَتْ أَلْفَ معتصمِ
فلَمْ يَبْنِ واحدٌ فيهم بأَيِّ مَدَى
وخيِّمِ الصَّمْتُ في الوديانِ والقممِ
وما رَأَتْ فارساً للصَّدْرِ يأخذُها
أخذَ العزيزِ الكريمِ الفائضِ الكرمِ
كُنْ أَنْتَ فارسُها.. كُنْ أَنْتَ حارسُها
أرجِعْ لها بسمَةً مزهَّوَةً الشَّمَمِ
بَدِّدْ لها عتمةً يرتابُ راصدُها
من ذئبِ ليلٍ مضى يحنو على الغنمِ
أعدْ إليها ضياءً كان يؤنسُها
وقُمْ ليومٍ بهيِّ السَّيفِ والقلمِ
فكُنْ شجاعاً بحَرْبِ العشِّقِ منتصراً
على عواذِلِ لَيْلٍ واسعِ الذممِ
قُمْ حَرِّرِ الفَجَرَ من سجنٍ يُحاصرُه
لَيْلٌ رهيبٌ شديدُ البطشِ والنَّقمِ
أعدْ لليلاك شمساً طالَ مغربُها

وَقُلْ: مَعِيَ الشَّمْسُ يَا لَيْلَايَ فَابْتَسِمِي
مُدِّي جِرَاحَكَ لِي قَدْ جِئْتُ أَعْصِبُهَا
بِعُشْبِ رُوحِي بوردٍ خَافِقٍ بَدْمِي
وَعَانَقِينِي عَنَاقًا كَمْ حَلَمْتُ بِهِ
مَا دَامَ هَجْرُكَ قَدْ أَمْسَى مِنَ الْقَدَمِ

حوافر خيل

الكرة الأرضية
يتناوبها ليل ونهار
باستثناء المنطقة العربية
ما زالت تغرق في بحر الظلمات
ليس لها من فجر آت..
كان لها شمس ورثها الأموات الأحياء
إلى أحياء أموات..
فانخسفت..
ما عادت تفرك عينيها مستيقظة
آه!
كم تُفرعني عتمة هذا الليل..
أهرب من ويل
فيلاقيني ويل..
منطقتي المحرومة من أي نهار

تمطرني بالحرمان ومن كلّ الألوان،
فأرسمها بالريشة
كالعصفور المذعور على شباكي
بقصيدة شعرٍ أعصبُ جرحَ عروبتها الباكي
ماضيها يغرقُ في حاضرها
والمستقبلُ يجرفُ السيل
لم يبقَ لها من أمجاد الأُمس
سوى أعقابِ سيوفٍ وحوافرِ خيل!

ذُبْنَا خَجَلًا

ما عاد لنا في مرآة العالم
وجهٌ يمكنُ أن نبديه
ها نحن نخبيئُ
عن عين الكونِ
شحوبَ ملايحِهِ ونواريهِ
خلفَ غبار التَّمويه
ذُبْنَا خَجَلًا مما تركت فيه
حربُ الإخوة من تشويه
فالمقتتلون الإخوةُ،
ما زالوا في ميدان الخزيِ
يهزّون سيوفَ العارِ
ويديرون الظهَرَ
لخاطف أمهم المحتالِ
عليهم
وبلا خجلٍ من دمع الأمِّ المحرورِ
يولّون الأدبار.

لوحة ناطقة

في ساحة الإعدام للطفولة
أرى شهيداً جاثماً فوق الركام
على لسانه بعض الكلام
يودُّ أن يقوله:
- ما لي أرى في موسم الرّيح التي
ما عاد في رقودها هبوب
تمرُّغ الشفاه والقلوب
في ثلج صمتٍ
شيخه المفتون بالبياض
لا يتوب..؟
يا ليت يا شيوخ صمتنا الوقور
لسانكم يدور
حتى يصير صمتكم إشاعةً
أكذوبةً..

لعلمكم..

دمي على جدران صميتكم

لوحاتُ لوعةٍ

تبكي على العروبة.

دعاء الشهداء

على العتباتِ دُمُ الشهداء
يناجي من القدسِ ربَّ السماء
إلى الله يرفعُ شكوى الجراح
وهمسَ الصَّلَاةِ وصوتَ النداء
دُمُ الشهداءِ بكُلِّ الورودِ
يُعيدُ إلينا ربيعَ الفداء
يُضمُّ الديارَ يرشُّ العبير
يقيمُ الصلاةَ يُطيلُ الدعاء

منَ القدسِ ربَّاهُ يدعو الشهيد
بكُلِّ الخشوعِ وكُلِّ الوفاء
بعزمِكَ بدَّدَ خطي الغاصبين
وأنقذَ دياراً تُعاني البلاء
لقد طالَ يا ربُّ ليلُ الحصار

وسدّ علينا الغزاة الفضاء
وليس لنا في الظلام سواك
يُعيدُ إلى العين طعم الضياء
ظمئنا وجعنا لقطر نداك
ونبع هُداك وما لاح ماء
بمحراب أقصاك صمت الجباه
وصوت الشفاه وهمس الدماء
بها ألف توقٍ ليوم الخلاص
وللآن ما خاب فينا رجاء
أغث يا إله الورى المؤمنين
ورُدَّ عن القدس أهل الدهاء
على العتبات دُم الشهداء
يناشدُ: مَنْ ينصر الأوفياء؟
هي القدس فيه ترى حلمها
بفجرٍ بهيٍّ عظيم البهاء
فحقّق لها ربّنا حلمها
وفي القدس بارك دم الشهداء

غيمة صبح

في جسدي الحالم بالماء
ظمأً صحراويً يمشي الخيلاء
أتخيّل غيمةً صبحٍ تطرُقُ بابي
أتوقّع مطراً ينهمرُ على العتبة
وأرى صفّاً جرارٍ تطفحُ ماءً
ثم أراها
من هبّةٍ ريحٍ تتهاوى مُنقلبة
فيفحُّ الظمأُ القتالُ،
بكل خلاياي كما الأفعى
لا ألقى أحداً مثلي
لرذاذةٍ ماءٍ يسعى
لحظتها أدركُ أن الرّيح العمياء
تواعدني بالشربِ،
وتخدعني بسرابٍ اللهفةِ وحدي

تقلبُ كُلُّ أباريقي
وتنشفُ لي رريقي
تركُني دونَ معينٍ
في صحراءِ الظمأِ المرصودِ،
حصاناً يلهثُ خلفَ العربةِ
أتهدّدُها بالخنقِ
فتدلّعُ لي من خلفِ زجاجِ الحُلُمِ لساناً
وأراها تجدلُّ حبلَ غبارٍ
لأنَّ أحاذرُ منه
وأخشى أن يلتفَّ على الرقبةِ.

صمت بن عروبة

شجرٌ في سنِّ الشيخوخةٍ يُلقي
خُضرتهُ للريح ويسكنني بتيبسه
وعيونٌ تقدحُ شرراً
وتحدقُ في روعي
يُبهجُها نزعُ جروحي
وبمكرٍ يطفحُ موتاً يترصدني
من ثقب الباب أسائلها من أنتِ؟
فتسألني من أنتَ؟
أقولُ لها: أنا صمتُ بن عروبة،
أنجبني طرشانُ بني قومي
ورموني لوحوشٍ كاسرةٍ في الغاب
أنهرُ قلبي في الغربة،
حين يذكّرني بغيابِ الأحباب
وأمددني فوق سرير الرّوح لأرتاح،

فأسمعُ من حول دمي المطلوب نباح كلاب
وعواء ذئاب..
دعني يا قلبُ بصحراءٍ رحيلي
أشعثَ أغبرَ أتطوِّحُ كالمجنون..
كالكرة المنفوخة بالخيبة أتدحرجُ،
أقدامُ الريح تدحرجُني.. تتقاذفُني
لا أدري.. هل أهرُبُ مني للخلفِ ولو خطوات
أم أزحفُ فوق جراحي لأمام
لنعدُ يا قلبُ إلى زمنٍ فات
اشتقتُ كثيراً لمعاقرة الصممتِ بحانةِ أموات
تتملِّكني الرغبةُ
في أن أطفئَ مصباحَ العشق بأعماقي
وأنام.

مريم المقدسية

ما بين الصخرة والأقصى وطريق الآلام
وقفت مريم وقفتها في وجه غزاة محتلين
لتنذّر بالسلب وبالقمع وبالإجرام
مع باقي النسوة هتفت مريم في وجه الظلمة
وبصوت فيه لطلوع الفجر حنين
"القدس لنا ولنا كل ربوع فلسطين
والقدس العربية عاصمة فلسطين
كالزيتونة في عزّ البرد على جبل الطور
انتصبت قامة مريم.. هبت كالموقد
في وجه الريح يثور"
وعلى باب من أبواب الأقصى صاحت مريم:
-لم لا يُنهي صوت امرأة من بيت المقدس
رقدة هذي الأمة..
حين تناشدُها من قلب وصل الحزنُ به للقمّة

" واعرباه! واسلاماه!
يا كُلَّ جهات الكرة الأرضية
هل من جهة تصغي لمناداة امرأة عربية
من قلب القدس المحتلة من سجن المسكويّة"
قامت تطلق من خلف القضبان نداء الحرية
حقّي يا عالمٌ يهضم..
شعبي يُظلم..
بيتي يُهدم..
ولدي برصاصة قناصٍ صهيونيٍّ يُعدم...
لكني من شعب الجبارين
وانا لي شعبٌ لا يُقهرُ أو يُهزم".

* * *

ها قد لبينا صوتك يا مريم
فطلعنا في يوم المرأة أقماراً ونجوماً
نتحدى ليلاً من حولك أظلم..
نفضحُ جلاداً ألقى القبض عليك
وفي حقك أجرمُ

لبيّنا صوتك من عمان من اسطنبول ومن قلب الدوحة،
من أرض الشام ومن تونس،
من بغداد إلى طنجة
لن يُرضيك ولن يُرضينا
أن يشهد عالمنا تهويداً للقدس،
فيشبك خلف الظهر الأيدي، لا يُبدي غير الفُرجة!
فليعلم يا مريم في هذا العالم من لا يعلم
أن نساء العالم مع مريم
في يوم المرأة قُمنّا لنُلبّي صرخة روحك
يا أختاه..
صوتك بالقلب حضناه
كُل حرائر هذا العالم معك
ولجرك تتألم..
ولعلمك يا مريم
كُل نساء العالم مريم.

عربي في قفص الاتهام

قال القاضي: يا نائبا العام
اقرأ لائحة التُّهم لهذا العربي
الواقف خلف القبضان
-البند الأول يا قاضينا:
يعصي لنظام العالم كلمة
والبند الثاني: يفتح دون استئذان
عينيه وفمه...
والبند الثالث: يحمل عزة نفسٍ مُتَّهَمَة
والبند الرابع: يتباهى بعرويته وكرامته
ومقاهي العالم من هذا النوع المتباهي مزدحمة
والبند الخامس: رصدته الكاميرا الأمامية
يُسَعَفُ في القدس جريحا
ويحزن على الشهداء..
ويشارك في بيت عزاء

والبندُ السادسُ: مرَّ على جثَّةِ طفلٍ
نسيتهَا الحربُ فألقى بحنانٍ مشبوهٍ
فوقَ الطفلِ عباءةً..

أما البندُ السابعُ يا قاضينا:
فالعربيُّ المائلُ بالجرمِ المشهودِ أمامَ عدالتنا
مُنحازٌ حتى العظمِ لأمتِه المنهزمة
ويصرُّ على إدخالِ العالمِ في أزمة
والبندُ الثامنُ: فهو لديه
لُمْدَلَّةُ الغربِ إساءة
فتصوِّرُ يا قاضينا هَدَمَ المستوطنِ بيتِ فلسطينيٍّ
مُتَّهَمٍ بالإرهابِ..
فأعاد بناءه..

وهنا دَقَّ القاضي بالمطرقة الصهيونية
وبلا تأجيلٍ للجلسة أصدرَ حكماً في عصبية
هذا العربيِّ المتمادي في الإجرام
خصمٌ وعدوٌّ للحرية
والأعرافِ الدوليَّة

وسلامِ البشريّة
ومعادٍ للساميّة
وعليه قليلٌ يا نائِبنا العام
حُكْمُ الإعدام.

وردة على نافذة الروح

يا عُشَّاقَ الظُّلْمَةِ لن يَهْنَأَ أَحَدٌ مِنْكُمْ
بظلام..

فانتظروا..

بعد قليلٍ من نَزْفِ جراحي

وغيابِ صباحي

ستشعُّ نجومٌ دمي

تفضحُ وتعريُّ كُلَّ كَمَائِنِكُمْ

من حولي

وسُتَبَتُ أَيَّامٌ لَيْسَتْ كَالْأَيَّامِ

صَحَّةٌ قَوْلِي

عتمتكم دون لحاقٍ بي

تلهثُ نحوي..

تتلوَّى مثلَ أفاعٍ سودٍ

تشهَى أن تخنقَ صَحْوِي

تلحظني مثل حصانٍ أعدو
تختلطُ عليها الرؤيةُ،
لا تدري هل أمضي لوراءِ
أم لأمام
حينَ تشعُّ نجومٌ دمي
في عمتيكم
تكشفُ عن قلبٍ في صدري
رغم كراهية العالم لي
بخشوع الخفقات يُصلي
يدعو لي بخلاصٍ
من كيد لئام
يا عُشاقَ الظُلْمَةِ لن ينعمَ أحدٌ منكم
بظلام...
فأنا لي قلبٌ يتضرَّعُ لله ويدعو:
يَسِّرْ يا ربَّ طريقي نحو بلادي
حقِّقْ لي حلم الوردِ
على نافذة الروحِ،
بعَدِّلِ وسلام.

أغنيةُ بحار قديم

هالني البحرُ الذي اختالَ بثوب الليلِ،
والحُلْمُ حريزُ الرّوحِ في البردِ ارتداني
قُمتُ بِسَمَلْتُ وأشهرتُ شراعي
مثلَ سيفٍ عابسٍ الوجهِ رآني
ليس لي إلّا وجيبُ القلبِ يحدو بي
ويدعوني إلى برِّ الأمانِ
ليس لي في لجمِ صوتِ الرّيحِ،
أو في صدّ أفعى الموجِ عن صدري
سوى بعضِ الأغاني
ليس لي يا بحرُ إلّا الحُلْمُ بالبرِّ
وتلويحُ بمجداني لنجمٍ
نحو بابِ لنجاةٍ قد هداني
بدمي يا بحرُ أدّيتُ القسم
لم تملّ تحتي قدم

كيف أسهو مُرخياً كفي
كيف أغفو حاضناً خوفي
وأنا أبصرُ فوق الماء أثاراً لدم؟!
ربما كان لبحارِ قضى قبلي هنا
وبوجهٍ مثل وجهي يا أنا...
رُبّما قد خانهُ البحرُ،
فعرّى جرحه للريح واستلقى
على الماء ولم ينبض له قلبٌ.. ولم..

* * *

حلمُ أطفالي بطعم الخُبزِ،
تسبيحةُ أُمِّي آخرَ الليلِ،
وعيناكِ ودمعٌ سألَ فوق الخدِّ،
والعشقُ الخجول..
ووصايا الشمس لي قبلَ الأفول
وصدى صوت أبي عند وداعي
وأنا أنوي إلى البحر النزول..
"ولدي... أوصيك أن تحذَرَ مما خبأ البحرُ لنا

من كل ما هو تحت الماء من أسماكٍ قرشٍ
أو سمومٍ للأفاعي..."
كلُّها يا حلوتي مع رؤى عينيك
ما زالت كما الخيل بأعماقي تصول
وتمنّيني بطيفِ البرّ،
تُدينني كثيراً من تباشير الوصول
فأراني أمتطي سهوةً حزني
وأغنّي فأقول:
سوف أتيك بعشقي واشتياقي
رغم ما في البحر من موتٍ خرافيٍّ
ومهما غربّةُ العُمُرِ تطول.

اعتذار شديد لعينيها

لا أعرفُ من أين أتت
أو كيف مشت
في درب الغرباء المسحور
حتى قرأت بصمات خطاي،
ونادتنني باسمي امرأة
نثرت من حول خطايَّ الورد،
وأحيت في ذاكرتي
بستانَ زهور...
ففتحتُ لها
بابَ القلب المهجور
دخلت فيه
بليل جدائلها السوداء،
فشعَّ النور..
جلست في زاوية القلب وحيدة

طلبت مني
أن أكتبَ في عينيها الناعستين
قصيدة..

قلت بنفسي:
سأُبايعُها بإمارة قلبي
سأقبلُ تاجَ أميرة روعي
وأقول:

شعري يا مولاتي
من سحر الورد المتدفق،
في نهر حضورك مذهول...
وقصائدُ صمتي..
تبحثُ عن عذرٍ مقبول..
لكنَّ امرأةَ القلب المتنهَّد،
تهمسُ: لا

فكلامُك في الحب رقيقاً
والشعراءُ لهم
في السفرِ إلى غابات النرجسِ

ألفُ طريق..
والعاشقُ إن غادر مرفأهُ
لا يوقفه في بحرِ العشقِ
مضيق...

* * *

اتقدّم منها ثانيةً
والصمتُ على شفّتي
يحكي من دون كلام..
معذرةً يا امرأةً
لا تعرف كم شينني العشقُ
وكم سرّقت من عمري الأيام
في آخر هذا البحر المتداركِ
هل يمكنُ أن ينجو لي من غرقِ
زورقِ حُلُم ضيّع مجدافَ الأحلام؟
هل يمكنُ أن ينجو في أفقي نجمٌ
ويعودَ لإلهامي وهجٌ وبريق؟
معذرةً...

لا أقدرُ أن أتنفّس شعراً
وأنا في بحر العينين غريق.

متى تكون؟

أرادوكَ نجمًا بعيداً
وأنتَ على بعد أغنيةٍ لم تصلهم
تُغني..
أرادوكَ كوكبَ حُلُمٍ خفيٍّ
وراء الغيوم
يخبئُ أحلامه عن عيونِ الرياح،
تجنّوا عليك كثيراً
وكم أمعنوا في التجنّي..
فأصداءُ صوتكِ لو لامستْ
نهرَ أسماعهم لأقاموا عليه السدود،
وفي صلفٍ ظاهرٍ أرجعوها إليك
أرادوكَ صفراً وراء مسافاتهم
يحتسي في الهجير الغبار الذي
خلفته على الأرضِ أقدامهم

ولو كان في وسعهم أن يضمنوا عليك..

لأحالوا الغبارَ سراياً

وجاءوا بأطيايفِ ماءٍ بعيد المنالِ،

وألقوا بها في يديك..

* * *

لكي لا تشاكسهم

عندما يدلّفونَ تباعاً

إلى حانة الشهرة الزائفة

لكي لا تُقَضَّ مضاجع أحلامهم الوارفة

أرادوك للنوم في عاليات الكهوفِ،

وللموتِ عند انهيار السقوفِ،

وللحسرة المُرّة الواجفة

تمنوا لصوتك ضربة شمسٍ

تحيلُ جنائنَ عشقك بين الضلوع رمادا..

وتجعلُ صحو الورودِ لقلب المحبِّ رُقادا..

فيخلو المدى لثلوجِ مواويلهم

وللغو الصقيعِ بدمعِ مناديلهم

هُم الأوصياءُ على جمرِ صوتك،

في ساحة الزمهرير...

هم الأولياء الذين يقيمون

بيت العزاء لعرس الشهيد الأخير

فيستحضرون الدموع ويبكون، يرثون قامة حلمك،

في مآتم الانحناء المقام على هامش الحزن،

يُلقون بعض المراثي وهم كاذبون

انهض الآن من خلف أستار مسرحهم

أيها المختفي عن دموع العيون

امتشق صولجان الجنون

وعُد مثلما كنت،

حتى تعيد إلى أفق العاشقين

فضاء الكلام الذي لا يخون

وما همك الآن شوْكُ لهم

كامن في سياج الظنون

فها هم أرادوك أن لا تكون،

متى ستعيد المدى لخطاك،

تعيد الخطى لمداك

متى رغم أنف الغياب تكون؟

خيمة اللامكان

هنا خيمةُ اللامكان
تقامُ على تلّةٍ من ركام
مُعَفَّرَةٍ برَمَادِ الحروبِ التي
خبأتُ نارَها في ثيابِ الظلام
هنا خيمةُ
لا مكانَ لها ثابتٌ أو زَمان
تفرُّ بأوتادها كُلِّما
طائرُ الموتِ حلَّقَ من فوقها
والرّدى لعيونِ المخيمِ بان
تتنقّلُ وفقَ احتدامِ المعاركِ،
باحثةً عن مكانٍ بعيدٍ
عن القصفِ دونِ أوان
هنا خيمةُ اللامكان
على بابها ماثِلٌ للعيان

صاحبُ الجسدِ المتورم من شدّة البردِ،
يدفعُ وحشَ الصقيعِ،
وعُنفَ الرياحِ الفريسيّةِ الصوّتِ،
بالصبرِ والعنفوانِ
هنا ترتقي قَمّةَ الحزنِ قائمُهُ شيخٌ
عتيقٌ يعضُّ على عِزّةِ النَّفسِ
كي لا يُغمَسَ لقمتهُ بوحول الهوانِ
هنا خيمةُ اللامكانِ
بداخلها جدُّنا المتشرّدُ كنعانُ
يحتضنُ القدسَ يغمُرُها بالحنانِ
يُخبئُها كالحمامةِ في قفصِ الصّدرِ ليلاً
ويُطلقُها كي تحطَّ ببطءٍ
على شرفةٍ حُرّةٍ للكلامِ..
فتبدو كأُمّ رؤومٍ
تكفكفُ دَمْعَ بنيتها
تقبّلُ كلّ مفاتيحِ عودتهم في الخيامِ
تعانقُ غيَّابها واحداً واحداً

في اشتداد الظلام..
تتفقّد في آخر الليل أحبابها
ثم تغفو على وجع الجرح حتّى تنام..
هنا خيمة اللامكان
على بابها المتجهّم نصرخُ مثل صُراخ اليتامى:
-أيّا عالمًا يتلوّى أمام ضحاياهِ كالأفعوان
أيّا عالمًا يتداعى فيخلعُ ثوبَ الفضيلة،
يا عالمان..
أما فيكما روحٌ وعي
تعيدُ لجثّة ذاك الضمير المُسجّى
على قدمي قاتليه حياةً جديدة؟

جدارية الحياة

كأنك أيقظت طائر نارٍ
بموقد حلمي العتيق..
فرفر فوق ستائر صمتي
الرمادية اللون،
ثم استدار إلى وردة ذابلة
تدلت على باب روعي..
كأنك يا صاحبي المستفيق
نبشت بلحد انطفائي
رفات الحريق..
قلت لي: يا صديقي
قد ننام قليلاً
لنحلم حلمًا جميلًا
فلا ينتهي النوم..
لا ينتهي الحلم..

حتى نعودَ إلى لحظة الصحو فينا

فلا مِنْ بقايا ضياءٍ

تبلّل أرواحنا بالبريق..

ولا من طريق..

يُعيدُ الذي قامَ من نومه السرمديّ،

فشتانَ بين ابتسامة هذي الحياة،

وبين تجهُم وجه السبات العميق

آه!

كم كنتَ يا صاحبي موغلاً

في مرايا شعوري..

تقلّبُ جدول حزنٍ رقيقٍ رقيق

وكم كنتَ يا صاحبي

عاشقاً للحياة..

وأنت تداعب بين أصابعها

الشاعرية

قيثارة تجذب العاشقين،

كما يجذب النحل في الورد سحرُ الرحيق.

لآخر لحظةٍ صحوٍ صديقي
سنغمسُ ريشةً ابداعنا
في دماء الوجود
لنرسمَ أجملَ ما نشتهي
أن يُقَرَّبَ أرواحنا
من ينابيع عشق الخلود
فنبدعَ في حائط الظلمة المتداعي
جداريةً للحياة
نمجِّدُ فيها الإله..

رجلٌ مختلف

رجلٌ ليس له في صحراء الليل دليل

رجلٌ مختلفٌ

يضربُ بالخطوات الرملَ،

ولا يأبهُ بالعمر الضائع..

رجلٌ رائع..

مبتسمٌ وهو جريح..

يتنفسُ ثاني أكسيد الغرّة،

لكن تخذله الأنفاس..

يسقطُ خلف الباب..

ينهضُ ليعضَّ المقبضَ والترباس

رجلٌ حساس..

بالجمرة تلو الجمرة يرجمُ نفسه

وبسقف الليل المُحدودِ،

كالقنديل القرويّ يُعلّقُ رأسه

تتوهج عيناه،
فيقرأ حزن الطرقات على كل وجوه الناس
ويعوذ برب العزة من شر الوسواس
رجل يؤمن بالصحو،
ويكفر بالحانة والكاس..
يقرع في صمت مقابرنا الأجراس..
رجل في باب الموت مغامر..
يحمل جثة ليلاه على كتفيه،
ويجري وهو يصيح..
على مجنون بني عامر:
(يا قيس حذار من السقطة في
ذاكرة العشق المعطوبة..
وتشبث في ظلمات اللاوعي،
بسمه ليلاك المحبوبة).

من النافذة

وكراشق جمرٍ
من نافذة نسيتهما الريحُ،
رشقتُ على قارعة الليل ندائي
واجهتُ عواء ذئاب الصحراء،
وكان الحزنُ الموروثُ ورائي
يجذبني للخلف بحبلٍ مجدولٍ من
دمع أبي
ويقدُّ قميصي من دُبرٍ،
فألملمُ أشلاء قميصي فوق الظهرِ،
أعيدُ على سمع الحزنِ قصيدةَ عشقٍ،
وأهزُّ بوجه الريح حذائي..
وأصيحُ بوجه الرعدِ المشبوه:
-كفاك خروجاً عن صمتِ سمائي
فأنا الغيمُ المستيقظُ في ذاكرة الماء،
ولا يجرؤُ برقٌ أو رعدٌ

أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْنِ غَيُومِ دَمِي
أَنْ يَتَقَمَّصَ طَبَعَ شَتَائِي
حَتَّى لَوْ خَيَّمَتْ صَمْتُ الصَّمْتِ،
وَحَامَتْ غُرْبَانُ الْمَوْتِ عَلَى
جَثَّةِ حَلَمِي الْمَغْدُورِ،
سَأَطْلُقُ مِنْ نَافِذَتِي الْمُنْسِيَّةِ
جَمَرَ غَنَائِي!
لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ مِثْلِي
دُورَانَ الْأَرْضِ الرَّائِعِ حَوْلَ كَوَاكِبِ رُوحِي
أَنَا مِنْذُ تَشَيَّأْتُ تَمَلَّكَنِي
فِي مَلَكُوتِ الْعَشَقِ طَوَافُ الْأَرْضِ،
عُرُوقُ دَمِي لِلْأَرْضِ مِدَارٌ..
وَحَلَايَا جَسَدِي لِلْأَرْضِ نَوَافِذُ أَسْرَارِ..
حَفَقَاتُ الْقَلْبِ تُحَدِّثُنِي
عَنْ وَرْدَةِ شَوْقٍ حَالِمَةٍ بِالْأَرْضِ،
وَحَائِفَةٍ مِمَّا قَدْ تَفَعَّلُهُ بِحَيِّثِهَا
الْأَرْضُ أَفَاعِي النَّارِ..

أنفاسي من بعضِ هواءٍ
يتعمَّدُ في الماءِ المترقِّقِ بينَ يديها
أنا منذُ درجتُ عليها
وتعلَّم جداني النطقَ لديها
أبدعتُ على أوتار الروح لها لحنًا
وأخذتُ أغني
رغم تقطُّعِ أوتاري:
- حتى لو أرسلَ فلَكُ كلَّ شواظِ نيازكهِ
لن يسرقَ من حول الأرضِ مداري.

ملصقات على نوافذ مغلفة

(١) نهرٌ أسير

نهرٌ أنا يا بحرٌ،

تلجمني السدودُ فلا أراك،

ولا تراني...

مائي أسيرٌ

والضفافُ تنُّ من ظمأٍ

وهذا الليلُ،

جيشٌ في الظلامِ لصوَصهُ

وعن الكلامِ ثنى لساني

نهرٌ أنا يا بحرٌ،

كنتُ طليقَ نبعي

بينَ هاتيكَ الجبالِ

تحمحمُ الأشجارُ

كالخيلِ الجموحةِ حولِ مائي

لكنَّ عاصفةً
من القار الممّوه بالوحول،
تجمهرت فوق السفوح،
وشاغلتنني بالسواد،
فتُهِتُ عن مجراي في الليل البهيم،
وبتُّ لا أدري
أمامي من ورائي!

(٢) محض اختيار
لو شاورتنني الريحُ في دمعي
وأهاتي أنا
لاخترتُ وأدّ الريح
في صحراء صوتي..
لو أمهلتنني الريحُ حتّى
أوقظَ الكلمات،
من لحد السكوت المرّ
لاخترتُ اعتناق الصرخة الأولى

بوجه سيّاطها
ونفيتُ في بيتِ العزاء،
طقوسَ موتي.

(٣) جُرّحي السجين

دهرٌ مضى
والواقفون على بساطِ دمي
أنا..

لا يرفعونَ عن البساطِ الأحذية
لا يجلسونَ ليستريحوا
من عناء وقوفهم
ولهم عيونٌ كالشبايكِ الرديئة،
لا تحنُّ ولا تلينُ..
جرّحي ينادُهم بخيطِ رباطه
في حُرقة:

-خَفُّوا قليلاً عن بساطي
لكنهم لا يسمعونَ ولا يعونَ

وإن فضحتُ نَعَالَهُمْ
رَشَّوْا الرَّمَادَ عَلَى رَبَاطِي
وَاسْتَعَذَبُوا خَنْقِي بِتَسْمِيمِ الْهَوَاءِ،
وَحَجَبِ طَيْفِ الْأُكْسَجِينِ..
الوَاقِفُونَ عَلَى بَسَاطِ دَمِي
بَلَا أَدْنَى مَرَاغَةِ
يَقَاضُونَ الْجَرَاحَ وَيَطْلُقُونَ رِصَاصَهُمْ
ظُلْمًا عَلَى جَرَحِي السَّجِينِ

(٤) السفر الحرام

هذا أنا
متجلدٌ بالطبع لا أُبْدي امتعاضاً
من رَحِيلِي...
عَيْنَاكِ بَوْصَلَةُ الْغَرِيبِ
بهذه الصَّحْرَاءِ،
وَالْوَجْهَ الرَّبِيعِيَّ الَّذِي نَادَاكِ
من قلبي..

يظلُّ هنا دليلي
جوذي عليَّ بسمّةٍ
من نرجس العينين
أعدّل عن خروجي
في الظلام..
لأعود طفلاً خائفاً
يحكي لصدر الأم خذ بيدي
لأعلن توبتي عن غربتي
حتى ولو أُمّي اشتتت
مُرّارَ حسرتها على الثديين
في غضبٍ
وأزمت الفطام...
لا تتركيني يا الحبيبة للرمالِ
وللسرابِ مُعَفَّرَ الخطوات
يلهثُ خافقي المحرورُ
من ظمأً
وأفعى الجوع تلدغني مراراً

كلما علّلتُ ذاكرتي
بمعسول الحديث عن الطعام
أوغلتُ في سفري
فرُدّيني إلى عينيك كي أصحو
وحيدَ الروح من دون الأنام
لأقولَ يا قلبي كفانا غربةً
عن دار من نهوى
فطهرني من السفر الحرام

(٥) حروف ترثي لحالها

تتنهدُ الكلماتُ
في أوراق من باعوا الكلامَ
على الطريق بلا ثمن
ترثي الحروفُ لحالها
ويكادُ يقتلُها الوهن
هم أسرفوا في بيع السنة لهم
هم أدخلوا أوراقهم سوقَ الخريفِ،

وهلّلوا لتساقط الأوراق عن أكتافهم
وكأنّها دمعُ الوطن...
هم قامروا برغيف صحوتهم سُدى
فليحصدوا البلوى إذن
وليحصدوا الشكوى إذن.

(٦) في انتظار الضوء

أنا يا الحزين؛
أتيتُ من فرحي أزفُّ لك البشارة
قلت: الربيعُ أتاكَ مختلاً
بأثواب النَّضارة
أخرج من الكهف الخريفيّ الذي
أعماك دهرًا
فالصبحُ ينتظرُ انبعاثَ الضوء
في عينيكَ
بل ملَّ انتظاره
أسكِتِ فؤادك يا الحزينُ

عن العويل،
وقل بتصريح العبارة
طلع النهار،
ومن يظلُّ الليلُ يُسكرُ مقلتيه
من النبذ الأسود المَغزى
سيغرقُ في ظلام المحتسين،
ولن يرى أبداً نهاره

(٧) أحببته وأحبني
هذا أوانُ الشدِّ فاشتدي
وتحصّني بالعشق،
إن مألَ الفؤادُ على الفؤادِ،
ولوّحي بالجمرِ،
إن مرّت رياحُ اللائمين
لا تخذلي صحوي
عُدّي الخطي نحوي
فإني قد وهبتك حلمَ خطوي

لا تكتمي شوق الحبيبة للحبيب،
وأشهري سيف الهوى
فالحبُّ أجملُ ما شهدتُ من الحروبِ،
فحاربي حتى ولو كل الجهات ترصدكِ
وأصبحت ضدي وخطُّ الدهرِ مال..
هذا أوانُ الشدِّ فاشتدي
لا تأبهي لتراجع العشاقِ
في ميدان حرقتهم...
حتى ولو جاءوا إليك بألف مُرتدٍّ
فعلى لساني يا أميرة خاطري
قولي لهم: أحبُّته وأحبَّني
والعشقُ آخرُ ما يقال.

فلسطينُ حياتي

أنهرُ قلبي وأنا لا أدري أني
بالزجرِ على باب الغربَةِ
أمطرُهُ قَهْرًا
في الصَّدْرِ يزيدُ على قهره..
وهو يتمتمُ لي باسم حبيبةِ عمره
أنهرُهُ فيعاندني
كالطفل الغاضب يتشاقى بين ضلوعي
يطفئُ بالآهةِ تلو الآهةِ حُلْمَ شموعي
من نافذةِ الروحِ أُطلُّ عليه،
فأراه يدمعُ..
ويقولُ اسمعُ:
أصغي من باب العطفِ عليه فلا يتكلم
لكني أبصرُهُ بعيونٍ جراحِي يتألم
فيُحيرُني في أمره

أنهره ثانيةً فيدير لي الظهر،
يشاغب في صدري بل في صدره
أسترضيه فيهمس لي:
-أول حرف في اسم حبيبة عمري فاء
آخر حرف في اسم حبيبة عمري نون
أنظر ما أحلى الأسماء..
أنا يا شاعر بالاسم وبالحسن الرائع مفتون
باللام وبالسين وبالطاء،
وبالياء الممدودة مسكون
أتوسل يا شاعر باسم الحب إليك
لا تتخاصم مع خفقتي
بالله عليك..
فلسطين حياي.

بنو قومي..

بنو قومي غدوا من دون وعيٍ
وخانوا خشية الله تعالى
أضاعوا بينهم وُدًّا وباتوا
بفتنتهم يزيدون اقتتالا
بدوا برؤوسهم في الرَّمْلِ سكرى
بلا خمرٍ وقد رموا العقلا
فلا باتوا نساءً فاضلاتٍ
ولا عادوا كما كانوا رجالا
بدرب هداية الرحمن تاهوا
فما عرفوا يمينًا أو شمالًا
وزرقاء اليمامة كذبوها
وقالوا: ما رأيت إلا خيالا
لقاتل أمهم أحنوا جبينًا
وفيما بينهم أبوا امثالًا

لِعِزَّةِ أُمَّةٍ تَأْبَى خُضُوعًا
وَلَا تُبْقِي لِمُغْتَصِبٍ مَجَالًا
بَنُو قَوْمِي وَرَاءَ الْغَرْبِ سَارُوا
لَأَجْلِ رِضَاهُ قَدْ مَدُّوا حَبَالًا
فَخَادَعَهُمْ وَأَوْهَمَهُمْ طَوِيلًا
بِنُخُوتِهِ وَقَدْ وَجَدَ الدَّلَالَ
وَمَا غَيْرُ الْيَهُودِ لَهُ صَحَابٌ
لِنَجْدَتِهِمْ بِكُلِّ الْحَرْصِ مَا لَا
يَعَاهِدُهُمْ وَيَحْمِيهِمْ مِرَارًا
لَأَجْلِ عِيُونِهِمْ بَذَلَ الْمَحَالَا
مَتَى يَصْحُو بَنُو قَوْمِي بَلِيلٍ
أَذَاقَ شُعُوبَ أُمَّتِهِمْ وَبَالَا؟!

حتّى لو

حتّى لو لم يَبْقَ سوانا
في الخندقِ والكلُّ رمانا
من أجلِ فلسطينَ سنبقى
ليلاً ونهاراً نتفانى
إمّا النصرُ بكلِّ صمودٍ
أو نستشهدُ دونَ سوانا
كلُّ الدنيا لو خذلتنا
والعالمُ أنكرَ دعوانا
لو عربُّ منا ما سألوا
عن قتالنا عن جرحانا
لو أنّ بني العمِّ تناسوا
عهداً بالعودةِ مَنّا
لو أصبحَ للنُّطقِ لسانٌ
مقطوعٌ نطقَت شفتانا

-يا أمتنا ضقنا ذرعاً
من صمتٍ لیتة ما كانا
زدنا قلقاً زدنا قهراً
ممن قد نصروا أعدانا
فلأُم ورثت بلوانا
ألفُ عقوقٍ منهم بانا
فمتى يا أمتنا يصحو
فيك شعورٌ لا يتوانى
عن ضمِّ فلسطينَ لصدرٍ
يوسعها حباً وحناناً
يعدُّ القدسَ بفجرٍ آتٍ
بربيعٍ يزهرُ ألوانا
لا تحني للريح جبيناً
ولها لا تُبدي إذعانا
رُدِّي عنك وعنا عاراً
تأباهُ خطاكِ وخطانا
لا سمحَ الله سيملؤنا
ذُلاً وصغاراً وهوانا

قربةٌ مقطوعة

صديقي الحزينُ قال لي:

-يا نافخاً في قربةٍ مقطوعة

أنفاسك التي بذلتها سدى

قد خانها المدى

تبخرت ولم تعد آهاتها مسموعة

يا لاهت الأنفاس

يا لاهب الإحساس

لا تجهد الصدر،

ولا تنفخ بقربةٍ "مخزوقة"

فالناس حول صوتك اليتيم

غير الناس

وكلُّ واحدٍ ممَّن أردتهم أن يسمعوك

أوتارُ صوتيه بنارِ صمته محروقة.

* * *

هنا حضنتُ صوتي المنبوذ في العراء
ضممتُهُ كجُثَّةٍ مخنوقةٍ
ما عادَ في عيونها بريق
وقلتُ للصديق: يا صديق
دعني لكي أبرئ الضمير
أعفي إرادتي من لعنة التَّقْصِير
بنفخةٍ من بعد نفخةٍ في قربةٍ مقطوعةٍ
دعني وحُرقتي بالله أستعين
فصوتي الذي جعلتُ منه زورقاً
في بحر غربتي الحزين
أخشى عليه الاختناق،
إن أنا دفتُهُ بمهجتي
فقد رأيتُ حبلَ الموتِ يا رفيقَ خيبي
على رقابِ الناطقين ضاق..
أخشى على الصوتِ الحزينِ موتاً
دون زاد..
والموتُ في ديارنا
لَهُ كمائنٌ تظلُّ للعُشاقِ بالمرصاد.

حضور متأخر لعنترة

معذرةً إن كنتُ تأخرتُ

وبعدَ قليلٍ من بدءِ الحربِ حضرتُ

كي أُغمدَ سيفي وأقولَ لمن حولي

فليسمعَ كلُّ منكم قولي:

-يا قوم

لا غزوَ بصحراءِ قبائلنا بعدَ اليوم،

فليسحبَ كلُّ منا سيفه

من معركةٍ مُخجلةٍ

سألَ دمٌ لذوي القربى فيها

وليعقلَ كلُّ منا

في بابِ عرويتنا الخلفيِّ حصانه

وليذهبَ معتذراً لأخيه العربي..

عن ذنبٍ في حقِّ أخيه جناه

عن نهرِ دمٍ وَلَغَت فيه يداه

قبلَ حضوري
بالندمِ الصاعقِ فاضَ شعوري
قلتُ لعبلةٍ معتذراً
عن شعرٍ في سوقِ عكاظٍ تفاخرتُ بهِ
وأنا أتوعدُ رأسَ أخي العربيِّ
وأنذرُهُ ببلاغةٍ سيفي
في قطعِ رقابِ بني عمِّي ..
ابتسمتُ عبلةً
مثلَ بريقِ السيفِ بدتِ بسمتها
وهي تقول:
الحُبُّ بلا حربٍ أجملُ للقلبِ ولي
لا تفرغِ للحُبِّ طبولاً...
لا تحملِ بعدَ الآنِ سوى
حُبِّكِ لي مهما لاقاكِ خصوم
اجعله تعويذةَ نصرٍ
تبعدُ كيدَ الفرسِ وتحميكِ من الرُّوم

ولِذا يا قوم
منذُ اللحظةِ أعلنُ
موتَ الحربِ القبليَّةِ
محتملاً منكم بعض اللوم
لا حربَ هنا بعد اليوم
لن يتنمَّرَ عربُ الصحراءِ
على عربٍ في البيتِ الواحدِ
لن يخرجَ عن ميثاقِ أخوتنا
فارسٌ جهلٌ
برباطِ عروبتِه جاحدٌ.

رسائل مفتوحة الى العام الجديد

(١)

يا عامنا الجديد..
لمن أتيت تُوقدُ الشموع
وحلمنا الذي تبسّمت شفاهه
ما زال في الأعماق يذرفُ الدموع؟
لمن أتيت من بعيد..
تدقُّ باب صمتنا البليد
وتقرعُ الأجراس..
لعالمٍ بلا ضمير... أم عالمٍ لا يملك الإحساس..
الناس فيه غير الناس...؟
يحيون فيك ليلة الميلاد..
برقصةٍ وهزٍّ خصرٍ ماجنٍ.. وكاس
أراك في يديك بالأصابع
تداعبُ الحمامة البيضاء....

وفي منقارها غصنٌ من الزيتون ذابلٌ ودامع
لكنني أكادُ أن أرى في دربك الجديد خطوةً
لا تعرفُ الرجوع...
لساحةٍ خلفيةٍ في بالنا
قبيحةِ الفرسان والخيول والفواجع..
أكادُ أن أحسَّ فيكَ صدرًا يشتهي احتضاننا
ونحن نتركُ الجراحَ والأسى
لعامنا الذي مضى
لنظهرَ الترحيبَ والرضا
لمقدمك....
ونستمدُّ في ظلامنا الشديدِ ومضةً من مبسمك
ها نحن في احتفالٍ قليلٍ أنَّه احتفالٌ عيد
بعامنا الجديد..
نأتيكَ بالجراحِ العارية
وبالدموعِ الجارية
وبالصغار الهاربين من وحوشٍ ضارية
نأتيكَ باحتمالِ القصفِ من جديد

بصرخةً يتيمةً الاصداء..
بحفنةٍ من الشيوخ والاطفال والنساء
نأتيك بالأشلاء.....
نأتيك بالحلم الطريد والجريح
نأتيك بانتحاب الذاكرة
وآهةٍ في ساحة المهد الأسير لم تزل محاصرة
بمهجةٍ توضحّت من دمعنا
ولم تُقم صلاتها لأنها
قد طوردت من بيت لحم حتى الناصرة...
لا تقترب من همّنا وغمّنا
وحاذر ألف مرةٍ من ضمّنا لصدرك الحليم..
نخاف أن نُعديك إن لمسنا
وردة المحبة الحمراء في يديك
نخاف كم نخاف من أحزاننا
ومن أكفاننا عليك

(٢)

يا عامنَا الجديد...

إذا مررتَ عن خيامِنَا لا تدخل الخيام

على بساطٍ من دم الشهيد

لا تزعج النيام...

وإن مررتَ عن أحلامِنَا لا تحسب الأحلام

حقيقةً فخلفَ زرعِها ومائِها صحراء،

ورملُها المسودُّ قد تفحمت ذراته

من سطوةِ المواقِدِ التي تفيضُ بالآلام

يا عامنَا.. يا عامنَا..

إذا رأيتَ جثَّةَ السلام في ديارِنَا

طريحةً على الرصيف

لا تخشَ من طريقِنَا المريب والمخيف..

لا تندب السلام..

وسر بنا الى الإمام

لعلَّ خطوةً أو خطوتين منك

توقظان خطونا المغمى عليه

في غابة الأيام...

لا تنصدم من عتمة تكاثرت وانجبت فراخها

في دربنا

لا تنصدم من عاصفات ليلنا

وحمحات خيلنا في ساحة

ماجت بها حروبُ بعضنا لبعضنا...

يا عامنا الجديد في ديارنا

يا من تظنُّ الخير في أعمارنا

بكلِّ لهفةٍ إليك كم نأتيك باعتذارنا

فهذه حياتنا على مدى أعوام...

وهذه أحزاننا من صنعنا

ومن أعراس موتنا تقام

وهذه قبورنا التي تضيقُ بالرفاتِ والعظام

على امتداد دربنا تمتدُّ من بغدادَ

حتى الشام..

ونحن بين صمتنا المعاق

وبين شهوة الكلام في سباق

من دون أن ترى شفاهاً العمياء
خطنا المرسوم للنهاية
ونطقنا يا عامنا حكاية
نعوذ بالحروف إن صحت من نومها
لنقطة البداية...!

(٣)

يا عامنا الودود..
يا من اتيت تنثر الورود
يا من على شفاهاك ابتسامة تشع بالوعد
حدائق الربيع في أرواحنا
تود أن تستقبلك
نراك رغم أنف الليل بدرًا طالعًا
يزين الفضاء يبهز الفلك
نكاد أن نقول لك...
ما أجملك...!
وأنت كالملاك من سباته العميق توقظ الوجود

لولا كمائنٌ من حولنا تلتفُّ كالسوار
عيونُهم بنادقٌ لا تستحي من اغتيال القمح والأزهار
هم يكمنون الآن خلف بابك الجميل
وحلمنا أمامهم قتيل..
عيونُهم على بشائر النهار في عينيك
يُسدّدون الرمي لاصطياد الورد في يديك
نكادُ أن نقول لك..
يا عامنا ما اجملك...!
لولا نجومٌ في سماءنا
من شدّة البكاء كلّ ليلة على مصابنا
أُصيبت بالعماء...
لولا أقاربٌ لنا في الدم..
تسلّقوا أسوارك الخضراء...
الخال قبل العم..
كأنهم مدافع منصوبة على الأسوار
حياتنا رهونة لحقدِهم ولانعدام وعيهم
نعيش حالة من احتمال قنصهم لنا

نعيشُ بين ريثما وربما
فلحْمُنَا فريسةٌ لكلِّ مَنْ رمى
وحلْمُنَا البهيجُ صار فرجةً مؤجلة
لكلِّ عاشقٍ من موتهِ بموتهِ احتَمَى
خلاصُنَا قد بات أُحجية
ولُغزُها لا حلَّ له
إلا بوعدٍ هابطٍ من السَّما
يفيضُ رحمةً من ربِّنا الذي عباده أجار
وعبدهُ الفقيرَ عندَ بابِهِ حمى...

الصوت الجريح

سلاماً أيها الصوتُ الجريحُ
لفارسٍ غربةٍ لا يستريحُ
كلامُك يوجعُ الأعماقَ فينا
وصمتُك عنده القولُ الفصيحُ
إذا أرسلتَ صيحةَ ألفِ جرحٍ
سكتنا وانحنت للصوتِ ريحُ
أيا صقرَ العراقِ عزفتَ لحناً
فهامَ بلحنِكَ النخلُ الذبيحُ
ودجلةٌ للفراتِ شكا فأبكى
فهبَّ محمدٌ وأتى المسيحُ
يردّانِ الفواجعَ عن بلادٍ
بها إبراهيمٌ من نارٍ يصيحُ
فيا جرحَ العراقِ شفاكَ ربي
وأوقفَ نزلَكَ السلمُ المريحُ

هدى الرحمنُ أهلكَ للتصافي
وعادَ لشعبك الأملُ الفسيحُ
بعيشٍ سالمٍ من كلِّ شرٍ
وشرُّ العيشِ إرهابٌ قبيحُ
سلاماً أيها الصوتُ الجريحُ
فذاك قصيدتي وفمي الصريحُ
تحصنُ بالنداءِ وبالتحدي
لعلك همّنا القاسي تزيحُ
وقل للأبرياء أنا رجاءُ
لكم والموتُ أهلي يستبيحُ
وقل للظالمين معي رعوذُ
بعرش الظلم أصدائي تطيحُ

(هذه القصيدة كتبها رداً على قصيدة الشاعر العراقي الراحل عبد
الرزاق عبد الواحد متى من طول نذكرك تستريح ؟)

من أنا؟!

أنا يا أنا سندبادُ فلسطينَ مَنْ
دَوَّخَ البرَّ والبحرَ ليلاً
وما دَوَّخَتْهُ المنافي..
قطعتُ البلادَ وراءَ البلادِ وجبتُ الفيا في
أغامرُ في سفري
وأنازلُ أفيالَ غابٍ وحيثانَ بحرٍ
وقُطَّاعَ ليلٍ
يمامةَ حلمي ترافقُني في المسيرِ،
وتكشفُ ما خبأَ الحظُّ لي وتطير..
إلى حيثُ يلقي بي الهجرُ
ثمَّ تعود..
بما أضمرته لليلي فلسطينَ
شهوةٌ حقد الحقود..
فأعرفُ كيفَ يَكُونُ اتجاہي

إلى جنة الروح في الأرض،
أعرف كيف أعدّ سفينة نوح فلسطين،
أبطل طوفانهم ويد الله دوماً معي
ولست نبياً ولا أدعي
ولكنني قد عرفت نجاتي مراراً
وهم يرسمون بأحلامهم مصرعي
أنا السندباد..
أنازل كل لصوص الظلام
ومن يطلبون دمي في اشتداد الحصار
وهم يدعون السلام.
ألقنهم كل درسٍ تعلمته من أسي غربتي
لوقع خطاي بأسماعهم
قرع أجراس عشقٍ يحدث عن عودتي.

يا وحدنا

وحدنا نغلي على جمر الأسي قهوتنا
تبردُ القهوةُ لا نشربُها هذا الصباح
يسرُّحُ الذهنُ بنا في وادٍ تلك الذكريات
دونَ أن ندري بأنَّ العمرَ فات
ثم نصحو لنرى الصَّحوَ يناجينَا:
- اشربوا قهوتكم

رغم المنافي والجراح

* * *

وحدنا يا وحدنا
تبردُ القهوةُ فوقَ الطااولات
دونَ أن نشربَها هذا الصباح
ثمَّ في الغربةِ نبقى في أسانا سارحين
شاردين الذهنَ عن واقعنا المرَّ اللعين
لا نريدُ الوعيَ والإحساسَ بالسرِّ الدفين

نحن يا قهوتنا المرّة نبقى آسفين
إن مضينا وتركناك كما أنتِ
بلا شربٍ ورحنا رغم شمسِ الصبحِ
نسعى لسبات..
اعذرنا فربيعُ الحلمِ يا قهوتنا المرّة مات
لم يعد ينمو لدى تربةِ غربتنا عشبٌ نديّ
أو نبات..
وإذا ما جاع طفلٌ يَتَمَتُّه الحربُ
نُلهيه ببعض الأمنيات
وإذا ما راح يبكي من لهيبِ الجوعِ
نأتيه بخبزِ الذكريات.

كوني معي

في رفضٍ موتٍ خطاي
إن فاض الأسى كوني معي
ما دام في جنبي قلبٌ ينبضُ
موتَ الحياة سأرفضُ
فأنا خلقتُ لكي أكون
والموتُ في حضن الحياة
هو الجنون..
إن أغلق اليأسُ المعتقُ باب حلمي
وارتميتُ وراء بابي
سأدقُ باب الحلم مراتٍ
ومراتٍ سأرجمُهُ بجمرٍ من مصابي
يا روحُ لا لا تجزعي
وإذا نهضتُ لدى السقوطِ،
ورحتُ أجمعني بقايا

كوني معي..
لا تفزعي..
والحزنُ يرسمني غباراً
باهتَ المعنى على كل المرايا
فأنا بسيف إرادتي
سأخوض معركة الحياة،
وكلُّ أحزاني ستتبعني
وتدعنُ لانتصاراتي
وقد أمست سبايا...!

صلاة

في الوقت الضائع من عمري الغارب
أتخيلُني شمسًا منهكة الضوء..
قبل غروبي..
اتوسَّلُ غيمةَ حزنٍ في أفقي
أن تُمطرَني من ثديها شيئًا
كي لا أتيَّم بل أحظى بوضوء
لأصلي الفجرَ وأدعو ربي
ان يرزقني بنهارٍ تخشاه ذئابُ الليل ،
فلا يتعقبُ روعي فيه رجالُ السوء
وأعوانُ رجالِ السوء ...

أتوقع حلماً

في الوقتِ الضائعِ من أحلامي
أتوقعُ حلماً يظهرُ لي بمنامي
مصطحباً إحدى الحوريات بكل نضارتها
تبسمُ لي فأراها أجملَ من كلِّ نساء الدنيا
أتقربُ منها بقصيدة حبٍّ تمتدُّ
اللوذ الأخضرَ في عينيها
فتفاجئني بسهامٍ
وتعود على الفور لتعصبَ جرحاً
ينزفُ ماء الروح بأعماقي
فالوذُ بشعري المتنهدِ حرفاً حرفاً
ممتدحاً خضرةَ عينيها وأقولُ لها :
- أتخيّلُ في عينيك الزيتونَ على جبل القدسِ
فأحضنُهُ وأذوب..
حتى يا حوريةَ أحلامي

لو في حبي لفلسطين جرى نهر ذنوب
عن حبي لحقول بلاد تشبه عينيك كثيراً
الف محال أن استرحم جهة لا ترحم أحداً
لأتوب...

وهنا أتوقع أن تبسم لي ثانيةً
حورية هذا الحلم الرائع ،
لتصادر مني بسمتها الحزن وتلقيه ورائي
فأرى ورد الفرح الجوري يلوّح لي
من بين أصابعها ويضاحكني
في الدرب مراراً..

يتناثر من حولي ويسابق خطوي
ليسير أمامي..
أتوقع في الوقت الضائع من حلمي
أن تخرجني من كابوس الغربة
حورية أحلامي.

حنينٌ إلى السلط

بأيِّ عذرٍ أنا قد جئتُ أعتذرُ
وقد نأى بي عنك الهمُّ والسفرُ
وما سعتُ إلى هجرٍ يغيبني
عن ناظريك ولكن شاءه القدرُ
مررتُ عقودٌ ولم يرجع لروضته
عصفورٌ قلبي فلا شدو ولا وترُ
كأنما السلطُ ما كانت حديقتهُ
ولا تلاًلاً في بستانها ثمرُ
لَكُمْ تذكرتُ أياماً مضت وغدت
ذكرى وظلّ لها في خاطري صورُ
فأنتِ يا سلطُ في الوجدان ماثلةُ
وأنتِ في كلِّ ليلٍ حالمٍ قمرُ
ها قد رجعتُ ولكن في دمي خجلُ
من بعض لومك من غابوا ومن هجروا

لقد تأخرتُ حتى فاضَ بي حَرَجٌ
وبتُ مغفرةً في الحب انتظرُ
لم ينتصر مرةً عشقي على وجعي
ولم يَبينَ لرجوعي المرتجى أثرُ
يا سلطُ معذرةً ان عدتُ ذاتَ ضحى
والعاشقون سروا ليلاً وما انتظروا
لا تُكثري اللومَ يا أمَّ المُنَى فأنا
صبُّ تعتقَ فيه الوجدُ والكدرُ
كم اتعبتني مسافاتُ شقيتُ بها
وغرّبتني خطى ما رازها النظرُ
ما كنتُ أغفلُ عن دارٍ سكنتُ بها
لو راح قلبي بأمر الشوق يَأتمرُ
حبّيتي إنّ روعي في النوى ظمئت
وأنتِ وحدكِ من في غيمها مطرُ
يا أختَ "بتير" بعد اليوم لا نصَبُ
ولا فراقٌ لديه القلبُ ينفطرُ
مُدّي يديك ولا قيني بلا حذرٍ

لا خيرَ في أيِّ وصلٍ شابهُ حذرٌ
ولتغفري لي غياباً ما مشيتُ له
ومن يحبّون للأحباب كم غفروا
أنتِ الحبيبةُ والعشاقُ كم سطعت
أرواحهم فيك إن غابوا وإن حضروا
كلُّ الفصولِ ربيعٌ لو خطرتِ بها
وشمسٌ كلُّ ربيعٍ وجهكِ النضرُ

*بتير قريةُ الشاعر / محافظة القدس

حب صامت

الحبُّ الصامتُ أشقانا
فانطقُ حرفاً يا مولانا
قلها أهواك من القلبِ
أفصحُ لا تخجل من حبي
قلها وتغنَّ في النطقِ
فالحبُّ الصامتُ كم يُشقي !
إن قلتَ أحبكُ أشفيتَ
فالجرحُ والمسعفُ أنتَ
هل في صمتك حبًّا تُخفي ؟
تلميحُ النظرة لا يكفي
يا ليتك بالصوتِ العاليِ
تحكيها لا تُشغلُ بالي
عيناك تقولان كلاماً
ولسانك يُمعنُ إحجاماً

سأقولُ أحبُّكَ لا أخشى
إن قلبي سرّاً قد أفسى
الأخرسُ في الحبِّ جبانُ
وله في الحسرة ألوانُ
وفصيحُ القلبِ له نطقُ
يتورّدُ في فيه الصدقُ
فليولّدْ من صمتِكَ صوتُ
الحبِّ الصامتُ لي موتُ
هيا لنبدّدْ صمتينا
بكلامٍ يسعدُ قلوبنا
بحروفٍ كسلى لا تبخل
عن لومِ اللائمِ لا تسأل
الحبُّ الصامتُ أضنانا
فأنطقُ حرفاً يا مولانا..!

معذرة يا عيد

معذرةً يا عيدُ إذا جئتَ لنا
مبتسماً فنهضنا بالدمع نلاقيك
معذرةً إن أهديتَ لنا
شمساً ضاحكةً واحترنا ماذا نهديك
لا شيءَ لدينا نهديه سوى الغربة والهم
وجراحٍ يغمرها الدم
معذرةً يا عيدُ صبرتَ علينا
سنواتٍ عابسةً متجهمةً
كادت معنا أن تشقيك
فاصبر سنةً أخرى
فعسى يأتينا فرجٌ من عند الله
ويأتيك
لا تحزنْ معنا أو تحزنْ يا عيدُ علينا
خليك بعيداً عن أحزان منافينا

نخشى إن رحّت تواسينا أن نعديك
كُنْ رمزاً للفرح القادم وارسم معنا
وجه القمر الطالع من أفق الشهداء،
فنحن لضحكته الوردية في الليل فتحنا
أبواباً وشبابيك..
يكفيننا يا عيدُ جهادُ رجالٍ في غزّة ما عرفوا
طعم الخذلان ويكفيك.

عودة الغريب

"إلى روح الشاعر الراحل هارون هاشم رشيد"

عائدٌ من منافي العروبةِ روحاً
إليك تطيرُ وتمضي اشتياقاً
وأنتِ التي قد قضيتُ السنين
إليها أحنُّ وأنوي سباقاً
مع العمرِ عليّ أفوزُ بوصلٍ
وأعرفُ كيف يكونُ العناقاً
فأنتِ الحبيبةُ ليس بقلبي
سواكِ وقلبي يودُّ انعتاقاً
من الصدرِ نحوَ فضاءٍ رحيبٍ
به أنتِ بدرٌ وليس محاقاً
كما قد أرادوكِ في ليلٍ همٍّ
به ظلمهم بالأسيرةِ حاقاً
فلسطينُ أنتِ المدى والمدادُ

لشعري الذي قد أجاد انطلاقا
إليك وكل الدروب انغلاق
وما عرف البوح عندي انغلاقا
فهذي القصائد تشهد أنني
لعينيك في العشق رمتُ اعتناقا
وإن كان قد سُدَّ دربُ إليك
فقلبي بطيفك يا ما تلاقي
دعوتُ إلهي بكل سجود
وقلتُ لمن مدَّ سبعا طباقا
أعد شعبنا للديار التي
استباحت وكادت تموتُ اختناقا
وبدّد جموع الغزاة الذين
أرادوا لنا حُرقة واحترقا
ولدتُ حزينا لأم تخافُ
على ولد في المنافي تشاقى
وعشتُ غريبا ومُتُّ غريبا
بقوم على الهم زادوا شقاقا

فلا أمل في رجوع قريب
ولا الحلم في الهجر للصبّ راقا
فهيأتُ روحي وطرتُ إليك
بلا جسدٍ جرحه الموتُ ساقا
فقومي إليّ أميرةً روحي
فروحي إليك تودُّ انسياقا
لتهديك وردَ حديقة قلبي
وشعراً دمي مع حنيني تساقى
وشعاً كما لو نجومٌ أطلّت
عليك بشوقٍ يودُّ انبثاقا
من الوجد في مهجرٍ كنديٍّ*
بعشق الطريد العروبيّ ضاقا
أغشي خطي من أتى يستغيثُ
ومرّ الأمرين في الهجر ذاقا

* نسبة إلى كندا التي أقام بها الشاعر مؤخراً

لا تحزني

لا تحزني عند النوى يا دارُ
من راحلين مضت بهم أقدارُ
ركبوا البحارَ على سفينة غربةٍ
لا الريحُ ترحمهم ولا الإعصارُ
الغارقون على الشواطئ قد رسوا
جثثًا بكت لمصابها الأطيّارُ
والبالغون البرّ عند نجاتهم
رغم الأسى لفظتهم الأمصارُ
لا تغضبي يا دارُ من ترحالهم
وقلوبهم قد أحرقتها النارُ
ما زال وجهك في المنافي لوحهً
منها تشعُّ وتسطعُ الأنوارُ
ما زلتِ في بال الجميع قصيدةً
خضراء تنشدُ خصبها الأشعارُ

رغم الفراق ورغم هجرك لم نزل
نصبر إليك فأقبلي يا دارُ
حتى ولو في الحلم كوني حلمنا
فإليك كم تشوّقُ الأنظارُ

الجبَلُ المِرابِطُ

إذا هبت الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ واشتَهت
عصفًا بنا لم يَسْتَثِرْنا هبُّوبُها
ما كان للجبلِ المِرابِطِ أن يَرى
في الرِّيحِ إلا أن يدومَ هروبوها
هل يَفْزَعُ الصَّخْرُ القَوِيُّ إذا اعتلت
رِيحٌ على جبلٍ وبانت نيوبوها ؟
نحن الذين إذا العواصفُ قد مشت
في دربنا ناحت عليها دروبها
قاماتُ هذي الأرضِ نحن وعزْمُنا
اعتزَّ الشمالُ به وباهى جنوبها
فرسانُ حربٍ إذا يومًا حرائرُنا
نادت وشقَّت من صياحِ جيوبوها
وأهلُ سلمٍ إذا ما الظلمُ فارقنا
وأزهرت أرضُنا وفاحت طيوبها

وليسأل التاريخ في الشرق جاهل
عنا تُجبه في علانا حروبها
الأمس يعرف أمة ما أحجمت
إن ما انبرى كرب وراح ينوبها
لا يخذل الأحفاد أجداداً لهم
دانت لهم حرب ودان نشوبها

إنها فلسطين

فلسطينُ معنى الوجودِ لنا
فمن دونها لا تطيبُ الحياةُ
فلسطينُ أمُّ لنا مُدُّ وُلدنا
وأبنائُها نحنُ.. نحنُ الحُماءُ
على أرضها عاش أبائُنا
وأجدادُنا في فلسطين ماتوا
وأولادُنا يعشقون رباهُ
وفي عشقهم عزَّةٌ وثباتُ
وأحفادُنا عندما يكبرونَ
سينهونَ أحلامكم يا جُناةُ
فلسطينُ تاريخُنا مذ وعينا
هي اليومُ والأمسُ والذكرياتُ
هي القلبُ والروحُ والعقلُ فينا
هي الحلمُ والصحوُ والأمنياتُ

لها في دم الشعراء غرامٌ
لها البوح واللحن والأغنياتُ
على جرحها يسهر الساهرون
وليس لهم غفوةٌ أو سباتٌ
إلى أن يزول احتلالُ بغضٍ
وعن كلِّ عينٍ يغيب الغزاةُ

قيس فلسطين

أَمَسْتَ خَطَايَ إِلَيْكَ دُونَ تَقَدُّمِ
وَالْهَجْرُ طَالَ وَبَاتَ يَحْرِقُ لِي دَمِي
لَا دَرْبَ يَوْمُضٍ لِي فَاتَّبِعْ وَمَضَّهُ
لَا نُورَ أَلْمَحِ فِي الظَّلَامِ الْمَعْتَمِ
يَا قَدْسُ يَا لَيْلَايَ قَيْسُكَ هَائِمٌ
فِي الْبَيْدِ وَالْأَشْعَارُ تُلْهَبُ لِي فَمِي
وَاللَّائِمُونَ عَلَى مِشَارِفِ لَوْعَتِي
لَمْ يَفْهَمُوا عَشَقَ الْفُؤَادِ الْمُغْرَمِ
لَوْ أَدْرَكُوا مَا بَتُّ أَحْمَلُ مِنْ لَظَى
بِقِصَائِنِي لَرَثُوا لِنَارٍ تَأْلُمِي
حَزَنٌ عَلَى حَزَنِ وَيَكْتَمُلُ الْأَسَى
وَكَأَنَّمَا فِي الصَّدْرِ قَاعُ جَهَنَّمَ
يَا قَدْسُ دُونَكَ لَا حَيَاةَ لِعَاشِقٍ
فَعَلَيْهِ طَعْمُ الْعَيْشِ أَلْفُ مُحَرَّمٍ

لا بُدَّ من يومٍ أَعِشْ لأجلِهِ
وأراكِ فِيهِ مُشَعَّةً بِتَبَسُّمِ
للقاءِ من سَبَبِ المِنا في عَقَلَهُ
وجنُونُهُ في شَعْرِهِ لَمْ يُفْهَمِ
ما عادَ لي بوحٌ يوضِّحُني وما
في البوحِ غيرَ رَمادِ صَوْتِ مُبْهَمِ
إنْ صَحْتُ يا ليلَائي صاحتْ غُرْبَتِي
يكفِي فقد أعطيتَ سَمْعَ اللّوَمِ
ما عادَ في ليلِ القَبائِلِ سامِعٌ
وعلى الرمالِ نداءٌ رُوحِي يَرتَمِي
بجِراحِهِ وصياحِهِ ونواحِهِ
وأَنيبُهُ في جوفِ ليلٍ مَظْلَمِ
لا من يَجُودُ على العليلِ بوصفَةٍ
أو من يَحْنُ بِقَطْرَةٍ من بَلَسَمِ

* * *

الدربُ يوصدُ بَيْننا فيصُدُّنا
والليلُ يوحِشُنا بَكلِّ تَجَهُّمِ

لكنَّ لي قلباً يدقُّ بأضلعي
ويقولُ لي : أقدمِ فأنتَ مُعلِّمي
إنِّي رجمتُ الصمتَ بالجمْرِ الذي
في خفقتي وعشقتُ حلمَ تقدُّمي
نحو الحبيبةِ رغمَ طولِ تشرُّدي
وتردُّدي وتوجُّسي وتوهُّمي
ما عاد لي غضبٌ سوى غضبي أنا
يا قدسُ لا تُخفي الأسي وتكلمي
لا بدَّ من وصلٍ وإن طال النوى
حتى وإن خطوي تبَّعَ بالدمِ
صبراً أميرةَ خاطري ومشاعري
روحي فداكِ وحقَّ دينِ المسلمِ
أنا قادمٌ بالعشقِ والثأرِ الذي
يشفي فؤادي من غريمٍ مُجرمِ
يا نفسُ يا مَنْ ذقتِ طعمَ تلوُّعي
باللهِ خصمَ قصائدي لا ترحمي

رسالتي إليك

بأجنحةٍ في فضاء الحنين
تطيرُ عصافيرُ رُوحِي إليك
تخطُّ بأسفارِها في المساءِ الحزينِ
على ساعديك
تبثُّ شوقَ المسافاتِ سرّاً
ومن تعبٍ في الرحيلِ إليك تنامُ قليلاً على كتفيك
لتحلمَ بالوردِ حينَ يطوّقُها بابتساماتِ بستانِ رُوحِكَ...
ومن حلمها العذبِ تصحو لتلقي بأحلامِها في يديك
عصافيرُ رُوحِي هي الآنَ ملكُ اختيارِكَ...
إني أراها ترفُرفُ حولَكَ في لهفةٍ وتحوم...
تمدُّ مناقيرَها في اشتياقٍ..
وتصطفُ حُرَّاسَ عشقٍ على جانبيك...
من البردِ والاصطيادِ وعينِ الحسودِ الحقودِ
تخافُ كثيراً عليك..

وعندَ وقوفِ الصِّباحِ على بابِ قلبِكَ،
مستأذناً بالدخولِ ببهجةِ أنوارِهِ
ستخفُّ إليك عصافيرُ رُوحِي
لتوقظَ شمسَكَ من نومِها..
ليطلَّ سنى العشق من مقلتيك...
فتراك كنهرٍ رقيقِ الفؤادِ،
على شجرِ الوجدِ يحنو..
فترقصُ رقصتها المُستَهامةَ فوقَ الغصونِ وتشدو
بلحنِ الوفاءِ على ضفتيك...
فيا وطنَ القلبِ والروحِ صبراً عليَّ فإني
أُخبئُ في القلبِ قبلةَ عشقٍ
ستبهرُ كلَّ العواذلِ،
حينَ سأطبعُها في العناقِ على وجنتيك...

وردة لا تذبل

لبتير^(٥) وردةً عشقٍ قديم
على شرفة الروح لا تذبلُ
ولكنَّ قلباً تعلّقَ فيها
إلى الآن عن صدرها يرحلُ
كطفلٍ تغرّبَ عن أمِّه
وعن مائها ظامئاً يسألُ
لبتيرَ يشتاّقُ في الهجرِ صبُّ
يلوِّعه حُبُّه الأوّلُ..
متى يا زمانَ التناهي تغيبُ
ليحظى بعودتنا منزلُ
يعانقُ أحبابه بعد هجرٍ
ويهمسُ: بالله لا ترحلوا
فقد حاصرَ الأرضَ مستوطنون
حرائقَ أطماعهم أشعلوا

على أهلنا حرّموا راحةً
وهدمَ منازلهم حلّوا
فكم ليلةً خفتُ من زحفهم
وناديتُ في حُرقةٍ أقبلوا
لتحموا دياراً لكم زُلزِلت
ومنكم براكينهم تجفّل!

* * *

لبتيرَ أكتبُ شعراً به
ورودُ حنينٍ لها تُرسلُ
إذا ما حلمتُ أرى نورها
وحولِي من نورها جدولُ
وبتيرُ عندي شمسُ الربيع
ووردُ الصباح ولا أقبلُ
بغيرِ سناها وطيبِ هواها
وبتيرُ بين القرى الأجمَلُ
لها ما حييتُ وفاءُ دمي
وما تعلمُ الروحُ أو تجهلُ

من الشوق والعشق في كلِّ حينٍ
به الوجدُ نيرانه يُشعلُ

(*) قرية الشاعر / محافظ القدس.

ما قاله لي زمن الشدة

دق الباب علينا زمنُ الشدة
لم يفتح أحدٌ،
قمتُ لأسأله من خلف الباب:
- ماذا بعدُ وقد طالت
في الصبرِ على الهمِّ المدة؟
دق على الباب المغلقِ ثانيةً
والسمعُ هنا من دقته يرتاب
قلنا: يكفي طرقًا يا زمنَ الشدة
فالخوفُ من المجهولِ القادمِ
جاوَزَ حدَّهُ..
عدتُ لأسأله: ماذا بعدُ فأجاب:
- لا تلقِ اللومَ عليَّ..
لا أملكُ حتى ما بينَ يديَّ..
قلتُ إذاً: ما الأمرُ؟

قال وقد هزَّ الرأسَ ثلاثاً :
شربُ دمِ الإنسانِ بعالمكم
عندَ البعضِ كشرِّ الخمرِ وتسألني
ما الأمرُ؟!
معظمكم يُغضبُ في الأرضِ اللهَ ولا
يخشاه..
أكثرُ من نصفِ العالمِ يدعوهُ
من دونِ صلاة..
عالمكم زادت في الغربِ وفي الشرقِ
خطايا..
ما عادت تُحصي بالأرقام ضحاياها
يا هذا..
إن كنتَ ترى أنَّ وباءً قد حلَّ بكم
قد أصبحَ جائحةً وتعظُم..
فالعلَّةُ تكمنُ في هذا العالم..
عالمكم ضدَّ الخيرِ يخوضُ حروبَ الردَّةِ
يحملُ في داخلِهِ ضده..

استفحل فيه الشرُّ وما
عادَ به أنهارُ حنانٍ ومودَّة
قايِلُ يطاردُ هابيلَ إلى الآن
وفعلته المملوءةُ حقداً
مُحتدَّة...

القتلُ مباحٌ في عالمكم
والموتُ المجانيُّ على الطرقاتِ متاحٌ
وتلومونَ على أبوابِ مقابرِكم
زمنَ الشَّدَّةِ؟!

مناجاة لنجم بعيد

مذ لحت لي نجماً يبدد ظلمتي
وأنا لنبع سناك رحت أذوبُ
فجعلت من حلمي بوصلك غايةً
يا من بنورك تستضيء دروبُ
لك نظرة يا نجم كم سحرت خطي
فسعت إليك جوانح وقلوبُ
من يومها وأنا بدربك هائمُ
حتى وإن شابت خطاك ذنوبُ
في حق من يهواك يا كل الهوى
مهما جنيت فعدلك المطلوبُ
أمشي وراءك فوق جمر توقعي
أن تحتفي بي أيها المحبوبُ
حاولت أن أقصي شعاعك عن دمي
فرأيت ومضك للفؤاد يؤوبُ

قد خلتُ أني عنك تبتُ لساعةٍ
هيهاتَ قلبي عن هوائك يتوبُ
صمتي كلامٌ مفصَّحٌ عن غلطتي
وحروفُ بوحىٍ باللهيبِ تلوبُ
والهمسُ منك بأيِّ حرفٍ يرتجى
منهُ الحنانُ للوعتي مرغوبُ
اغفر محاولتي وسامح زلّتي
والدمعُ عن عينيَّ باتَ ينوبُ
إنَّ التسامحَ في هوائك يعيدُ لي
أملًا وإن خطفَ الرجاءُ غروبُ

يا جنة الروح

يا جنة الروح في الدنيا بكاكِ فمي
شعراً حزيناً بدمعٍ فاضٍ من قلبي
خيبتَ ظني وحبّي باتَ يصدُّهُ
سهمٌ لعينيكِ من حديهِ سألَ دمي
ما هكذا الحبُّ يا من بتَّ جارحةً
لوردة القلبِ في صحوي وفي حلمي
أنا أهْيُّ أفراحاً لفاتنتي..
ولي تُهَيِّ جمرَ الحزنِ والألمِ
يا من إليكِ حملتُ الشعرَ ملتمساً
من روضِ ثغركِ ورداً شبه مُبتسمِ
أعدتِ لي الشعرَ والأشواقَ مبديةً
شيئاً من الصدِّ والإعراضِ عن كرمي
وقمتِ من دون وعيٍ تطلين دمي
ولا تراعينَ حدَّ الأشهرِ الحُرُمِ

ماذا تغير في صوتي وصدق فمي
حتى تظاهرت عند السمع بالصمم؟
أنا حبيبك قبل الكل فاعتر في
وليس في الحب تحقيق لمتهم
إن البراءة يا ليلاي تملؤني
من قمة الرأس حتى أخمص القدم
فوطدي بيننا ما كان من ثقة
ولتدفعي عنك ما قد لاح من تهم
هل أنت ما زلت رغم الهجر عاشقتي
أم أنت من حبنا المغدور في ندم؟
لا ترهبي لائماً ما زال يحسدنا
أو ظالماً حاقداً في ثوب منتقم
ما بيننا عهد عشق لا نوقعه
إلا بنفض من القلبين فاحترمي
ميثاق روحين معروفاً لحاسدنا
وقد كتبناه بالأهداب من قدم
أنا على العهد أراعاه وأحفظه
ولا أفرط فيه لو أريق دمي

لقاء على غير موعد

وكأننا من قبلُ نعرفُ بعضنا
راحت عروبتنا تؤلفُ بيننا
وسماحةُ الإسلامِ تختصر المسافة،
خطوةً منه ومني خطوتان
حتى التقينا في جنانٍ من بلادِ التُّركِ،
تجري تحتها الأنهار..
هو شاعرٌ متهيبٌ مني
ومن قلبِ الرياضِ أتى
يحدوه حلمٌ بالطبيعة،
بينما أنا قادمٌ بالحلمِ من عمّان...
كوخان من خشبٍ وأشجارٍ تظللنا
والشعرُ ثلثنا..
نتبادلُ الأفكارَ والبوحَ الذي
يشتاقُ للأقصى وللقدسِ التي في البالِ دمعُها

نرى الأكواخَ مصغيةً لنا
وكأننا نُحيي هنا أصبوحه شعريّةً
جمهورُها مَنْ هُمْ بنو عثمان..
هو عاشقٌ للقدسِ والشعبِ الذي
ما زالَ فوقَ الاحتلالِ
وأنا أعيدُ له حكايةَ غربتي عن قريتي
وأقولُ بالشعرِ المقاومِ ما يقالُ ولا يقال
الوقتُ أدركنا هنا
حان الوداعُ ولم يعدْ في الوسعِ إلا
أن نودّعَ بعضنا متواعدين على اللقاء
ومعاً رجونا أن تكونَ القدسُ موعدنا
وقد دمتُ حروفُ كلامنا شوقاً
إلى الأقصى وظلّ بنا رجاء..

"تركيا/ طرابزون ٢٠١٧"

باب الفداء

مهما زمانُ الظلمِ عربدٌ أو قسا
مهما رجاءُ القومِ باتَ بلا عسى
لا بُدَّ من صحوٍ وإن نامت خطي
لا بُدَّ من فرحٍ وإن فاض الأسي
فدمُ الشباب به ينابيعُ لنا
تروي عقولاً في الرجال وأنفسا
وتقودُنا نحوَ الكفاحِ مجدداً
وتعيدُ مجدداً للبلادِ قد انتسى
فنرى الحداةَ الخائبينِ قد اختفوا
خجلاً من الفجرِ الذي دحر المسا
فهم الخفافيشُ التي غيرَ الدجى
لا ترتجي وتخافُ صبحاً مشمسا
لا بُدَّ من قدسٍ وإن طال السُرى
بين اليقينِ وبين ظنٍّ وسوسا

إنا نكادُ نرى الوصولَ لحلمنا
حتى وإنْ جُنَّ الظلامُ وعسعسا
بابُ الفداءِ لَهُ الشبابُ تدافعوا
والفارُسُ المشتاقُ سابقَ فارسا
نحوَ الشهادةِ فاشهدي يا أرضنا
ضُمِّي شهيداً بالجهادِ تمرّسا
يا خائبونَ ترجّلوا عن خيلنا
وتساقطوا نَقْلاً بخيئته اكتسى
ميدانُ عزتنا له فرسانُهُ
لا ليس يقبلُ في النفيرِ تقاعُسا
سنقولُها عن وجهنا هيّا اغربوا
وبياننا ما كانَ يوماً أخرسا

تعبنا من الشعر

كتبنا من الشعر ما زادَ عن همِّنا
ذرَفنا دموعَ الكتابةِ فوقَ السطور
جلسنا على نهرِ أحزاننا
نتفياً أشجارَ حزنٍ ظليلة
وأحلامنا تتمددُ ما بيننا
جُثّاً فوقَ عُشبِ الصُّفوفِ قتيلة
كتبنا رسائلنا الظامئاتِ إلى أمِّنا
وفي زمنٍ يأكلُ الذكرياتِ،
ويتلَعُ الأغنياتِ،
ملأنا فضاءَ المعاني نجومًا،
تشعُّ بنورِ القصائدِ والأمسياتِ الجميلة
وحينَ تعبنا من الشعرِ قلنا:
- إذا ما الكلامُ الرقيقُ انزوى
جانبًا واختفى وارتمى

فوق صمت محابرنا كالرُفَات،
وتعبنا من البحثِ عنه
وغطّت سماءَ الأغاني صواريخُ أعدائنا
وصبّتْ لظاها القذائفُ صَبًّا
وقاتلنا في المساءِ تظاهر بالحزنِ صُبْحًا
علينا...
أنخلد للصمتِ نندبُ أشعارنا المستميّة،
أم سوف نطلقُ جمرَ القصائدِ ليلاً
على الطائرات؟

الفهرس

٥.....	العملاق الهائل
١٠.....	ليالي فلسطين
١٤.....	ما لم يقله عاشق الصحراء
٢٣.....	مدن ترفع رأسها
٢٨.....	إليها وراء النهر
٣٢.....	نهر لشجر العاشق
٣٦.....	تكوينات في فضاء الكلام
٤٣.....	عرس يحضره القيصر
٤٦.....	المايسترو
٥٢.....	إلى آخر الأرض خذيني
٥٧.....	حراس الصمت
٥٩.....	نقطة الصفر
٦١.....	أتخيلني
٦٣.....	دمعة على خد فلسطين
٦٥.....	الرجل الخامس
٦٧.....	سلاحنا الجميل
٦٩.....	همسات ليل
٧٨.....	عالم ظالم

يا عاشق الشام	٨٠
حوافر خيل	٨٥
دُبنا خجلاً	٨٧
لوحة ناطقة	٨٨
دعاء الشهداء	٩٠
غيمة صبح	٩٢
صمت بن عروبة	٩٤
مريم المقدسيّة	٩٦
عربي في قفص الاتهام	٩٩
وردة على نافذة الروح	١٠٢
أغنية بحار قديم	١٠٤
اعتذار شديد لعينها	١٠٧
متى تكون؟	١١٠
خيمة اللامكان	١١٣
جدارية الحياة	١١٦
رجلٌ مختلف	١١٩
من النافذة	١٢١
ملصقات على نوافذ مغلقة	١٢٤
فلسطينُ حياتي	١٣٣

١٣٥	بنو قومي
١٣٧	حتّى لو
١٣٩	قربةً مقطوعة
١٤١	حضور متأخر لعنترة
١٤٤	رسائل مفتوحة الى العام الجديد
١٥٢	الصوت الجريح
١٥٤	من أنا؟!
١٥٦	يا وحدنا
١٥٨	كوني معي
١٦٠	صلاة
١٦١	أتوقع حلمًا
١٦٣	حنينٌ إلى السلط
١٦٦	حبٌ صامت
١٦٨	معذرةٌ يا عيد
١٧٠	عودة الغريب
١٧٣	لا تحزني
١٧٥	الجبلُ المرابط
١٧٧	إنها فلسطين
١٧٩	قيس فلسطين

رسالتي إليك.....	١٨٢
وردة لا تذبل.....	١٨٤
ما قاله لي زمن الشدة.....	١٨٧
مناجاة لنجم بعيد.....	١٩٠
يا جنة الروح.....	١٩٢
لقاء على غير موعد.....	١٩٤
باب الفداء.....	١٩٦
تعبنا من الشعر.....	١٩٨